

اخلاق العلماء

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



طبعة • نشر • توزيع

الدار المصرية اللبنانية

١٩ شارع عبد الحفيظ لوت - جيهون ٢٩٢٢٥٢٥ - ٢٩٢٢٧٤٣ - لاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقا : دار خافو - ص.ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIYAH AL-LUBNANIAH

PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O. Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

أَخْلَاقُ الْعُلَمَاءِ

تأليف
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَجْرِي
المتوفى سنة ٦٦٢ هـ

تقديم وتحقيق
الدكتور
أحمد عبد الرحيم السليح

الناشر
دار المقربين للبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

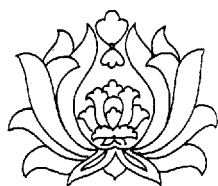
قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة فاطر آية ٢٨)





مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى جعل العلماء فى كل زمان ومكان سادة ، يردون الناس إلى الله ، ويدعون إليه ، ويبعدون الناس عن الفسوق ، ويتولون الحق .

والصلاة والسلام على رسول الله ، المرسل رحمة وهداية للناس أجمعين ، قدوة أهل الحق ، ورواد المعرفة .

أما بعد

فإن العلماء لهم فى كل جيل دور كبير ، يرشدون الجاهل ، ويردون الضال ، وينطقون بالحق ، ويواجهون التحديات بالعلم والمعرفة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾^(١) . وهذا - كما يقول الأستاذ مصطفى عمارة فى مقدمة الترغيب والترهيب - إشارة إلى أن العلماء ورثة الأنبياء ، فى توضيح المهيم ، وإضائة الحكم فى كشف حكم الله - جل وعلا - ودعوة الناس إلى الاستظلال بظلهم الوارف .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾^(٢) .

(١) من الآية : ٨٣ من سورة النساء .

(٢) من الآية : ٤٩ من سورة العنكبوت .

أى : العلماء الذين كمل دينهم ، وتم عقلهم ، فتحلوا بالمكارم جمعاء ،
 واتصفوا بالمحامد عامتها ، وفيهم يقول الله - جل شأنه - : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ
 أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو
 الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ
 يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
 الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ
 أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
 آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ
 كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١﴾

وقد وصف الله العلماء أصحاب العقول الكاملة التى استخدموها فى
 مرضاة ربهم بصفات هى عنوان الإخلاص ، وشمس القبول ، ودليل
 التوفيق :

- ١ - الوفاء بالعهد ، وعدم نقض الميثاق بإطاعة أوامر الله ، واجتناب
 نواهيه ، وإرشاد الخلق إلى ذلك ، لأنهم قدوة حسنة .
- ٢ - صلة جميع الأقارب ، وموالة المؤمنين ، ومودة الصالحين ، ومحبة

(١) الآيات : ١٩ - ٢٤ من سورة الرعد .

العاملين ، وعدم هجرانهم .

٣ - خوف الله - تعالى - وخشيته ، فلا شريقع منهم ولا أذى لخلق ، ولا ترك واجب ، ولا فعل معصية . ولهذا قيل : « رأس الحكمة مخافة الله » .

٤ - الخوف من الحساب يوم القيامة فيجتهد العالم فى العمل الصالح وتظهر صحائفه لينقى وينجو من الشدائد .

٥ - الصبر وهو حبس النفس على المكروه ، وإيجاد العزيمة على احتمال المشاق فى أعمال الخير .

٦ - إقامة الصلاة فى أوقاتها ، تامة الأركان والشروط ، ويأمر أهله بها ، ويصطبر عليها .

٧ - التصدق بالمال فى السر والجهر ، ليدل على سماحة النفس وطهارتها .

٨ - مقابلة السيئة بالحسنة لوقف الشرور ، وخجل المسئء والبرهان على سعة الصبر ، وطهارة القلب .

هؤلاء هم العلماء الذين أكرموا أنفسهم بالعلم والعمل به ، والأمة الإسلامية فى أشد الحاجة إلى هؤلاء العلماء الذين اتصفوا بالصفات المذكورة ؛ لأن هذه الصفات مؤهلات عليا تؤهل للوصول بالمجتمع إلى أقوم السبل .

وكتاب « أخلاق العلماء » للآجرى من الكتب النفيسة التى يحسن بنا أن نطالعها ، وننعم النظر فيها ، لتتفرغ على أخلاق العلماء العاملين ، وسمات أهل الإصلاح الذين يبذلون ما فى وسعهم ، لنشر المعرفة ، وتوعية الناس بما يأخذ بهم إلى الرق .



الآجرى

الآجرى صاحب كتاب « أخلاق العلماء » هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرى ، الفقيه الشافعى ترجم له ، وكتب عنه :

- الخطيب البغدادى فى [تاريخ بغداد] .
- وابن خلكان فى : « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » .
- والحافظ الذهبي فى : « تذكرة الحفاظ » و« العلو للعلی الغفار » .
- و« العبر فى خبر من غير » .
- والحافظ ابن كثير فى : « البداية والنهاية » .
- وجمال أبو المحاسن فى : « النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة » .
- وابن العماد فى : « شذرات الذهب » .
- والتاج ابن السبكي فى : « طبقات الشافعية » .
- وياقوت الحموى فى : « معجم البلدان » .

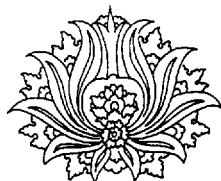
وقال عنه العلماء : « هو الفقيه المحدث ، صاحب كتاب الأربعين حديثاً ، وهو مشهور به ، وكان صالحاً عابداً ، ثقة ، صدوقاً ، ديناً ، عالماً ، عاملاً ، فقيهاً ، إماماً ، ورعاً ، محدثاً أثرياً ، قدوة ، صاحب سنة واتباع ، وصاحب مصنفات ، حسن التصانيف ، حافظاً ، زاهداً ، ضابطاً » .

أرأيت : أنه حافظ ومحدث وإمام له مصنفات كثيرة تزيد على عشرين كتاباً فى الأخلاق ، والفقه ، والأدب ، والحديث . وما جرى مجرى ذلك مما يدل على علمه الواسع ، وفقهه الغزير .

أما كتاب « أخلاق العلماء » فإنه من الكتب التى تنطلق مما ينبغى أن يكون .. وقد أثنى كثير من العلماء على كتاب « أخلاق العلماء » منهم الحافظ الإمام ابن رجب حيث قال : « قد صنف أبو بكر الآجرى وكان من العلماء الربانيين فى أوائل المائة الرابعة تصنيفا فى أخلاق العلماء وآدابهم وهو من أجل ما صنف فى ذلك ، ومن تأمله علم طريقة السلف من العلماء ، والطرائق التى حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم » ..

يقول العلماء : إن أبا بكر محمد بن الحسين بن عبد الله نسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها « آجر » . وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة فسكنها ، ويروى أنه لما دخل مكة حرسها الله - تعالى - أعجبته . فقال : اللهم ارزقنى الإقامة بها سنة ، فسمع هاتفا يقول له : بل ثلاثين سنة . فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ، ثم مات بها فى المحرم سنة ستين وثلاثمائة رحمه الله رحمة واسعة . وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب .

الدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح



أضواء حول الأخلاق

الأخلاق : جمع خُلُق - بضم الخاء واللام - كعنق وأعناق ، أو بضم فسكون كصلب ، وأصلاب . ولا تكسر على غير ذلك .. بمعنى أنها ليست من الكلمات التى تكسر على صور مختلفة ، ككلمة « جمل » مثلاً فإنها تجمع جمع تكسير على أجمال ، وجمال ، وجمل ، وجمالة ، وجماليات وأجامل ، وجمالي وجامل^(١) .

والخلق - بضم اللام - والخلق - بسكون اللام - فى لسان العرب : السجية ، يقال : خلق المؤمن ، وخلق الفاجر ، وفى الحديث : « ليس شئ فى الميزان أثقل من حسن الخلق » . والخلق - بضم اللام وسكونها - هو الدين والطبع والسجية . وحقيقته : أنه صورة الإنسان الباطنة ، وهى نفسه ، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولها أوصاف حسنة وقيحة ، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة^(٢) .

وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم أن الخلق - بضم الخاء واللام - السجية والطبع وما يجرى عليه المرء من عادة لازمة^(٣) .

(١) الدكتور منصور رجب (تأملات فى فلسفة الأخلاق) ص ١٢ ط ٣ سنة ١٩٦١ القاهرة .

(٢) ابن منظور (لسان العرب) المجلد الثانى ص ١٢٤٥ ط دار المعارف بمصر .

(٣) مجمع اللغة العربية . معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ١ ص ٣٦١ ، ط لجنة التراث للجميع ، القاهرة .

وقد تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع كقوله :
« مِنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » . وقوله :
« أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » . وقوله : « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَدْرِكُ
بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » وقوله : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ » . وكذلك جاءت في ذم سوء الخلق أيضا أحاديث كثيرة .
وفي حديث عائشة - رضى الله عنها - : « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ » أى :
كان متمسكا به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم
والمحاسن والأطاف . وفي حديث عمر : « مَنْ تَخَلَّقَ لِلنَّاسِ بِمَا يَغْلُمُ
أَلَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسِهِ شَأْنُهُ أَلَّهُ » أى : تكلف أن يظهر من خلقه خلاف
ما ينطوى عليه ، مثل : تصنع وتجميل إذا أظهر الصنيع والجميل ، وتخلق
بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون مخلوقا في فطرته . وقوله : « تخلق
مثل تجميل أى : أظهر جمالا وتصنع وتحسن » إنما تأويله الإظهار ، وفلان
يتخلق بغير خلقه أى : يتكلفه . قال سالم بن وابصة :

يا أيها المتحلى بغير شيمته إن التخلق يأتى دونه الخلق
أراد بغير شيمته . فحذف وأوصل^(١) .

وإذا كان ابن منظور قد ذكر أن الخلق (بضم اللام وسكونها) هو الدين
والطبع والسجية فهل هناك فرق بين مدلول الطبع ومدلول السجية أم
هما من الألفاظ المترادفة ؟

يرى كثير من علماء البحث والدراسة : أن هناك فرقا بين المدلولين
وهو أن الطبع يطلق على الخلق الفطرى . فالطبع (بسكون الباء) هو الجبلة

(١) ابن منظور (لسان العرب) المجلد الثاني ص ١٢٤ ط دار المعارف ، مصر .

التي خلق الإنسان عليها . والسجية : تطلق على الخلق الفطرى والمكتسب
إذا أصبح عادة ، ومما يؤيد ذلك قول حسان بن ثابت :

سجية تلك فيهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع
فالسجية قد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة^(١) .

ويقتضينا البحث اللغوى أن نعرف معنى كلمة « خلق » - بفتح الخاء
وسكون اللام - لنصل إلى الارتباط القائم بين الخلق - بفتح الخاء وسكون
اللام - وبين الخلق - بضم الخاء واللام .

فالخلق - بفتح الخاء وسكون اللام - : التقدير^(٢) . يقال : خلق
الأديم يخلقه خلقا : قدره لما يريد قبل القطع ، وقاسه ليقطع منه مزادة
أو قربة ، أو خفا . قال زهير من قصيدة يمدح هرم بن سنان :

ولأنت تفرى ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفرى^(٣)

يقول : أنت إذا قدرت أمراً قطعت ، وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا
يقطعه لأنه ليس بماضى العزم وأنت مضاء على ما عزم عليه^(٤) .

ويقال : الخلق : التقدير المستقيم فى إبداع الشيء من غير أصل ولا
احتذاء قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾^(٥) أى : أبدعها

(١) الدكتور منصور رجب ، تأملات فى فلسفة الأخلاق ، ص ١٣ الطبعة الثالثة .

(٢) الفيروز آبادى ، بصائر ذوى التمييز ، ج ٢ ص ٥٦٦ ط المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية .

(٣) زهير بن أبى سلمى ، الديوان ، شرح ثعلب ص ٩٤ الطبعة الأولى .

(٤) ابن منظور ، لسان العرب ، الجزء الثانى ص ١٢٤ ط دار المعارف بمصر .

(٥) سورة النحل ، الآية رقم ٣ والعبارة وردت فى آيات أخرى .

بدلالة قوله : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) .. ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء . قال تعالى : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾^(٢) .. وليس الخلق بمعنى الإبداع إلا لله تعالى .. ولهذا قال - تعالى - في الفصل بينه وبين غيره : ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾^(٣) وأما الذى يكون بالاستحالة فقد جعله الله لغيره في بعض الأحوال كعيسى - عليه السلام - حيث قال : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٤) والخلق لا يستعمل في جميع الناس إلا على وجهين :

أحدهما : في معنى التقدير كما ذكرنا من قول زهير ، وثانيهما : في الكذب نحو قوله تعالى : ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(٥) .

وكل موضع استعمل فيه الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب ، ومن هذا الوجه امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن وعلى هذا قوله : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٦) وقوله : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِثٌ﴾^(٧) .

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ١١٧ وسورة الأنعام ، الآية رقم ١٠١ .

(٢) سورة الزمر الآية رقم ٦ .

(٣) سورة النحل ، الآية رقم ١٧ .

(٤) سورة المائدة ، الآية رقم ١١٠ .

(٥) سورة العنكبوت ، الآية رقم ١٧ .

(٦) سورة الشعراء الآية رقم ١٣٧ ، وخلق - بفتح الخاء وسكون اللام - قراءة صحيحة - والقراءة الأخرى - خلق - بضم الخاء واللام - وهى قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحزمة وخلف . هامش بصائر ذوى التمييز ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٧) سورة ص : الآية رقم ٧ .

والخلق فى معنى المخلوق . وَالْخُلُقُ وَالْخُلُقُ فى الأصل واحد^(١)
فالخلق - بالضم - ذو علاقة وثيقة بمعنى الخلق - بالفتح - وذلك لأنه
فى أصله مصاحب لأصل الخلقة يوجد مع المخلوق بوجوده ، ثم يأخذ
فى النمو والتطور وفقاً لنمو صاحبه وتطوره ، فكل استقامة فى سلوك المخلوق
وفق السنن الصحيح تصاحبها استقامة الخلق نفسه ، وكل انحراف أو فساد
فى ذلك السلوك مؤد إلى مثله فى الخلق والتصوير ، وما أدق إشارة المتنبي
إلى ذلك فى قوله :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
كذلك نجد الصلة بين الخلق والخلق من حيث التقدير الغائى فوجود
الخلق فى الكائن البشرى يستهدف أصلاً تزويده بالنظام الذى يعينه على
معرفة الخير والأحسن وما يقابلهما^(٢) .

وإذا كان الخلق - بضم الخاء واللام - والخلق - بفتح الخاء وسكون
اللام - أصلهما واحد فقد خص الخلق بالهيات والأشكال والصور
المدركة بالبصر ، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة^(٣) .

قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٤) قال ابن
عباس - رضى الله عنهما - : لعل دين عظيم لادين أحب إلى ولا أرضى
عندى منه وهو دين الإسلام . وفى الصحيحين أن هشام بن حكيم سأل

(١) الفيروزآبادى ، بصائر ذوى الهميز ج ٢ ص ٥٦٧ ط المجلس الأعلى بالقاهرة .

(٢) الشيخ محمد المجذوب (الأخلاق بين الفلسفة والإسلام) ص ٣٢١ ندوة المحاضرات مكة
المكرمة ، السعودية .

(٣) الفيروزآبادى (بصائر ذوى الهميز) ج ٢ ص ٥٦٧ ط المجلس الأعلى بالقاهرة .

(٤) سورة القلم ، الآية رقم ٤ .

عائشة عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ » ^(١) .

فالأخلاق بمعنى الدين عبارة عن نظام من العمل غايته تحقيق الحياة الخيرة الطيبة ، ونمط من السلوك مع النفس والغير ، من حيث ما يجب أن يكون عليه هذا السلوك . كما أنها ليست جزءاً من الدين فحسب بل جوهره وروحه ، لأن الدين في مضمونه عبارة عن الواجبات التي يلتزم بها الإنسان نحو الله ونحو نفسه وغيره من المخلوقات .

والأخلاق عند القدماء : ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تعلم وفكر وتكلف ، فغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقاً ، كغضب الحكيم ، وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعسر وتأمل ، كالبخيل إذا حاول الكرم .

وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة فتقول : فلان كريم الأخلاق أو سىء الأخلاق ، وإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقد دل على الأدب لأن الأدب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال ^(٢) .

ويرى العلماء المعاصرون أن الأخلاق في أوجز تعريف هي : « قوة ذاتية نحس أثرها في ترغيبنا بشيء وتنفيرنا من ضده فهي إذا طبيعية متأصلة في فطرة الإنسان ، وظيفتها إصدار الأحكام على الأعمال والأشياء بالحسن أو القبح والخير أو الشر والفضيلة أو الرذيلة ، وهي من حيث كونها

(١) ورد في الجامع الصغير عن مسند ابن حنبل ، ومسلم ، وأبي داود .

(٢) الدكتور جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء الأول ص ٤٩ ط دار الكتاب اللبناني .

مصدرا واحدا خفيا لهذه الأحكام تسمى « الضمير » ومن حيث آثارها المتعددة ومظاهرها المتكاثرة تسمى « الأخلاق »^(١).

وإن الإنسان ، كل إنسان ، وفي كل عصر من العصور ، يعيش حياة اجتماعية ، والحياة الاجتماعية تقوم على التعامل والسلوك مع الآخرين ، ومثل هذا التعاون أوجب وجود قواعد وأنماط للسلوك ترضى عنها المجتمعات وتقاليدها وأصولها الاعتقادية أو تنفر منها .

وقد احتاج هذا التعامل إلى التمييز بين الحسن والسيئ ، وبين الفاسد والصالح ، وبين النافع والضار ، كما احتاج إلى إصدار الأحكام على تصرفات الإنسان بالخير والشر ، والحسن والسيئ ، بالصالح والفساد .

وموضوع الخير والشر ، والحسن والقبح ، والسلوك الخطأ والصواب شغل أذهان جميع المفكرين والفلاسفة والمصلحين في مختلف أدوار الإنسانية ، فقد أراد الإنسان منذ وجد أن يقوم سلوكه ويحكم عليه حكما أخلاقيا ، وسواء كان التقويم مدحا أو ثوابا ذما أو عقابا ، فإن عملية التقويم تبدو ضرورية لكل فعل بشرى مهما كانت حقيقته^(٢) .

والدين الإسلامى قد فصل الكلام فى المسائل الأخلاقية الرئيسية التى تناولها القدامى والمحدثون من الأصل الأخلاق للسلوك الإنسانى والبواعث

(١) فضيلة الشيخ محمد المجدوب . الأخلاق بين الفلسفة والإسلام ص ٣٢١ ، ندوة المحاضرات ، مكة المكرمة .

(٢) الدكتور عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٨٢ الطبعة الثالثة بالسعودية .

الخلقية . والحكم الأخلاقى والغاية من الفعل الخلقى ونسبية الأخلاق وإطلاقها^(١) .

(١) فأصل الشعور الأخلاقى أو بمعنى آخر كيف نعرف أن عملا من الأعمال أخلاقى وآخر غير أخلاقى ؟ هناك رأيان :

أحدهما يقول بأن مصدر هذا الشعور غريزة فى الإنسان ، سابقة على تجربة تبدأ متكاملة وترسخها التربية ولكنها ليست نتيجة مباشرة لها . والآخر يرى بأن معرفة الخير والشر تعتمد على التجربة وتنمو بتقدم الزمان وورق الفكر .

والذى ينسجم مع نظرة الإسلام الأخلاقية أن هذا الشعور فطرى فطره الله عليه قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۚ ﴾^(٢) . وهذا الشعور يحمل الإنسان على حب بعض الصفات وكراهة أخرى ، وهو وإن كان متفاوتا وعلى أقدار متنوعة فى مختلف أنواع البشر إلا أن الشعور العام بقطع النظر عن الأفراد لا يزال يحكم على بعض السجاياء الخلقية بالحسن وعلى بعضها بالقبح فى كل زمان^(٣) .

(٢) والباعث الباطنى النفسى الذى يحمل على إطاعة ما يميله الشعور الأخلاقى والذى يدفع إلى القيام بأنواع من السلوك دون أخرى ، لاشك

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى . التربية الإسلامية ص ١٠٠ ط عيسى البابى الحلبي مصر .

والدكتور عبد الكريم عثمان . معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٨٥ ط ٣ . السعودية .

(٢) سورة الشمس ، الآيات ٧ - ١٠ .

(٣) الدكتور عبد الكريم عثمان معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٨٣ السعودية الطبعة الثالثة .

أن هذا الباعث يتعلق بالغايات والأغراض التى يهدف إليها الإنسان ، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذى يقوم بأعمال اختيارية ، والمفروض أنه يفكر بالغرض من عمله قبل أن يشرع فيه ، ثم يفتش عن الوسيلة المناسبة لتحقيق هذا الغرض ، وتختلف الأغراض عند الناس باختلاف تكوينهم العقائدى والفكرى كما تختلف حسب أعمالهم وظروفهم .

(٣) ويتعلق بالباعث معرفة الأهداف أو النتائج الأخيرة التى يحاول الإنسان الوصول إليها بأعماله الأخلاقية ، إن هذه الأهداف تشكل محورا تدور حوله الأغراض الفريدة وتتلون فإذا كان هدف الإنسان فى حياته تحقيق مجده الشخصى دارت أغراضه جميعا حول هذا الهدف ، واصطبغ سلوكه به فهو لا ينظر إلى الحوادث وبالتالى لا يكيف موقفه إلا بحسبها . كذلك الذى يهدف إلى تحقيق مثل أعلى كإرضاء الله - تعالى - وتحقيق الخير العام فإنه لا ينظر إلى الأمور إلا بهذا المنظار ، ومن هنا كان إلحاح الإسلام على الأهداف السامية التى تربط سلوك الإنسان بهدف أعلى يتسامى إليه ويعمل جاهدا لتحقيقه .

(٤) والمقياس الذى نقيس به أعمالنا لنحكم عليها بالصلاح أو الفساد بالخير أو الشر ، أو بمعنى آخر : القانون الأخلاقى وماله من قوة ملزمة تحمل الإرادة على العمل بموجبه . قال العقليون : إن هذا القانون فى أنفسنا بالضمير ذاتى ينبع من داخل الإنسان ، فهو فطرى لا مكتسب ولا متطور . وقال التطوريون والاجتماعيون : إن هذا القانون يتكون من مصادر خارجية : منها المعتقدات الدينية ، ومنها ما تواضع عليه الناس من أحكام ثم أجبروا عليها بالمعادلة فصارت أعرافا وعادات ، فالخوف من الله

والخوف من المجتمع هو الذى يشكل القانون الأخلاقى الذى نزن به أمورنا .

والإسلام يجعل مقياس كل حكم وميزان كل سلوك هو القواعد الأخلاقية التى جاء بها الرسول - عليه الصلاة والسلام - فقد أرسله الله - كما بعث كل رسول - وأنزل معه الكتاب هداية الإنسان وإرشاده إلى طريق الخير والسعادة^(١) .

(٥) نسبية الأخلاق وإطلاقها ، وقد اختلف الناس ولايزالون مختلفين فيما هو الحسن والسيئ ، وفيما إذا كان بالإمكان أن نطلق أحكاماً عامة فى الحسن والقبح فى الخير والشر .. وبعبارة أخرى هل نستطيع أن نقول بخير مطلق أو شر مطلق يندرج حكمهما على جميع الأزمان والظروف ، أم أننا أمام أحكام نسبية ؟ بمعنى أن ماهو شر فى مكان أو زمان خير فى مكان أو زمان آخرين والعكس ؟ لقد وجد بين المفكرين القدماء من قال بالقيم العامة المطلقة ، ووجد منهم من قال بعكس ذلك . ولعل أفلاطون من فلاسفة اليونان من أوائل الذين قالوا بالخير والشر المطلقين .

وقد أدلى المفكرون المسلمون بدلوهم فى هذا الموضوع واختلفوا فيه كما اختلف غيرهم ، إلا أنهم تميزوا عن الآخرين فى الأساس الذى قامت عليه نظرتهم له ، فقد جعلوا هذا الأساس متصلاً بالعناية الإلهية من خلال صلتها بالعالم وبالمكلفين ، أما فى العصر الحديث فقد استمر النقاش حول هذا الموضوع وأصبح يدرس من خلال نظرية القيم التى يتناول الأخلاقيون من خلالها عامة قيم الأشياء من خير أو شر وجمال أو قبح .

(١) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

والنظرة الإسلامية إلى نسبية الأخلاق وإطلاقها تؤكد إطلاق الأخلاق وعموميتها ، فالصدق ، والأمانة ، والعدالة ، والوفاء بالعهد مثلا كل ذلك مما عدته الإنسانية من الصفات الخلقية الجديرة بالثناء والمدح ، ولم يأت على الإنسانية وقت استحسنت فيه الكذب ، والظلم ، والخيانة ، وكذلك أمر المجتمعات فما عرفت الإنسانية مجتمعا يستحق الاحترام إلا المجتمع الذى يتمتع بحسن الإدارة ، وجودة النظام ، والتناصح ، والتكافل والعدالة ، ولا هى نظرت بعين الإعجاب إلى مجتمع خيمت عليه أخلاق الفوضى والتباعد ، والتنافر ، والتحاسد ، والتفاضل بين أفراد البشر .. والأخلاق نظرية وعملية ، ولم ينص الإسلام على أخلاق نظرية منفصلة يتبعها السلوك العملى ويستمد قوته من تلك النظريات المقررة ، وإنما رسم للناس قواعد العمل الصالح الذى ينبغى أن يسيروا عليه . والقرآن زاهر بهذه القواعد العملية التى تتناول أغلب أحوال الناس فى معاشهم وفى صلاتهم بغيرهم من الناس ومعاملتهم بعضهم بعضا^(١) ..

والأخلاق من الأمور المعيارية التى تبسط للناس مثلا عليها ينبغى اتباعها ، وتختلف عما يكون عليه الإنسان فى الواقع^(٢) .

والنظام الأخلاقى فى الإسلام ينبثق من تصوره للكون والوجود ، ويعتمد هذا التصور على أن لهذا الكون إلها وأنه لا إله غيره خلق الكون وأوجده ، وهذا الكون يسير بانتظام مدعنا لأمر الله ومشيعته ، والإنسان جزء من هذا الكون خلقه الله بطبيعة متميزة لعبادته والانقياد لأمره ،

(١) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، التربية فى الإسلام ، ص ١٠٣ ط عيسى البابى الحلبي .

(٢) المصدر السابق ص ١٠١ .

ولامعنى لحياته إلا أن تكون كلها خالصة العبودية لله .. فالغاية البعيدة من مجهودات الإنسان ومساعيه في الدنيا هي ابتغاء وجه الله - تعالى - ونيل رضاه ، وهذا هو المقياس الذى يقاس به في الإسلام كل عمل من أعمال الإنسان ، ويحكم عليه بالخير أو الشر^(١) في مقابل مقاييس اللذة أو المصلحة أو السعادة أو غيرها ..

وقد أنعم الإسلام على الإنسان بهذا المقياس وزوده بمراجع دائم لمعرفة الحسن أو القبح الخلقى ، وهذا المرجع ثابت دائم لا يحصر علمنا بالأخلاق على العقل أو التجارب أو العلوم الإنسانية حتى تتغير أحكامنا باستمرار ، وليس هذا المرجع إلا كتاب الله وسنة رسوله ، ففيهما خطة كاملة لكل شئون الحياة وانطباق متسع لأصول الأخلاق على شئون الحياة المختلفة^(٢).

ونظام الأخلاق في الإسلام يقوم على خصائص ثلاث ، هي :

(١) أن الإسلام يجعل ابتغاء وجه الله ونيل رضاه غاية منشودة في الحياة الإنسانية ، ويجعل بذلك مقياساً سامياً للأخلاق لا يقوم معه في وجه الارتقاء الخلقى شيء يفوقه عن الارتقاء والتقدم ، ويبىء للأخلاق من خشية الله - تعالى - قوة تحت الإنسان على القيام من غير أن تكون فيها يد لعامل من العوامل الخارجية .

(٢) أنه لا يوجد بهذا التحريض والترغيب أخلاقاً مبتكرة ولا يحاول حط بعض الأخلاق الإنسانية المعروفة « إنما بعثت لأتمم مكارم

(١) المودودي « نظام الحياة في الإسلام » ص ١٤ .

(٢) الدكتور عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ص ٢٨٨ الطبعة الثالثة السعودية .

الأخلاق» ولكنه يريد أن يجعل الأخلاق مهيمنة في جميع نواحي الحياة ومهيمنة عليها .

(٣) أنه يطالب الناس ويلتمس منهم إقامة نظام للحياة ينهض بنيانه على المعروف ولا يشوبه شيء من المنكر ، ويدعوهم إلى أن يقيموا الخيرات في كل زمان ومكان ، وأن يشيعوا إقامة هذه الخيرات في العالم ، وهذه هي مهمة المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية .

إن القيم الإسلامية تحقق وظائف عدة : ففيما يتعلق بالفرد تحاول هذه القيم رفعه فوق مرتبته الراهنة وتعمل على العلو به عن المستوى الحيواني الذي يقتصر على الماديات من طعام وشراب إلى المستوى اللائق بكرامة الإنسان وتقدمه ورفقه ، وفيما يتعلق بالمجتمع فإنها تحقق أعظم عامل للربط بين أفرادها والسمو بالجماعة من المرتبة المادية الحيوانية إلى مرتبة الحضارة والمدنية^(١) . وتقيم الصلات بين الأفراد والهيئات على أسس نبيلة كريمة .



(١) الدكتور عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، ص ٢٨٩ الطبعة الثالثة السعودية .

أَخْلَاقُ الْعُلَمَاءِ

تأليف
أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّاجَزِيِّ
المنوف في ثلاثين جزءاً



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد ،
النبي الأمى ، وآله وسلم ، وبالله أستعين ، وحسبى الله ، ونعم الوكيل .

أما بعد :

فإن الله - عز وجل ، وتقدست أسماؤه - اختص من خلقه من
أحب ، فهداهم للإيمان ، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب ، تفضل
عليهم ، فعلمهم الكتاب والحكمة ، وفقهم فى الدين ، وعلمهم
التأويل ، وفضلهم على سائر المؤمنين ، وذلك فى كل زمان وأوان .

رفعهم بالعلم ، وزينهم بالحلم ، بهم يعرف الحلال من الحرام ، والحق
من الباطل ، والضرار من النافع ، والحسن من القبيح .

فضلهم عظيم ، وخطرهم جزيل ، ورثة الأنبياء ، وقرة عين الأولياء ،
الحيتان فى البحار لهم تستغفر ، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع ، والعلماء
فى القيامة بعد الأنبياء تشفع ، مجالسهم تفيد الحكمة ، وبأعمالهم ينزجر
أهل الغفلة ، هم أفضل من العباد ، وأعلى درجة من الزهاد .

حياتهم غنيمة ، وموتهم مصيبة ، يذكرون الغافل ، ويعلمون الجاهل ،
لا يتوقع لهم بائقة ، ولا يخاف منهم غائلة ، بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون ،
وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون ، جميع الخلق إلى علمهم محتاج ،
والصحيح على من خالف بقولهم محجاج ، الطاعة لهم من جميع الخلق
واجبة ، والمعصية لهم محرمة ، من أطاعهم رشد ، ومن عصاهم عند .

ما ورد على إمام المسلمين من أمر اشبه عليه حتى وقف فيه فبقول العلماء يعمل ، وعن رأيهم يصدر .

وما ورد على أمراء المسلمين من حكم لا علم لهم به فبقولهم يعملون ، وعن رأيهم يصدرون .

وما أشكل على قضاة المسلمين من حكم فبقول العلماء يحكمون ، وعليه يعولون .

فهم سراج العباد ومنار البلاد وقوام الأمة ، وينابيع الحكمة ، هم غيظ الشيطان ، بهم تحيا قلوب أهل الحق ، وتموت قلوب أهل الزيغ ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء ، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، إذا انطمست النجوم تحيروا ، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا .

فإن قال قائل : ما دل على ماقلت ؟

قيل له : الكتاب ، ثم السنة .

فإن قال : فاذكر منه ما إذا سمعه المؤمن سارع في طلب العلم ، ورغب فيما رغبه الله - عز وجل - ورسوله ﷺ .

قيل له : أما دليل القرآن فإن الله - عز وجل - قال :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ آنشُوا فآنشُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١) فوعد الله - عز

(١) سورة المجادلة . الآية رقم ١١ .

وجل - المؤمنين أن يرفعهم ، ثم خص العلماء منهم بفضل الدرجات .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ ^(١) فأعلم خلقه أنه يخشاه العلماء به .

وقال عز وجل : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٢) .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ ^(٣) .

وقال عز وجل : ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ^(٤) .

وقال عز وجل : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلْمَ ﴾ ^(٥) الآية يقال : فقهاؤهم وعلمائهم .

وقال عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة فاطر . الآية رقم ٢٨ .

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٦٩ .

(٣) سورة لقمان . الآية رقم ١٢ .

(٤) سورة آل عمران . الآية رقم ٨٩ .

(٥) سورة المائدة . الآية رقم ٦٣ .

(٦) سورة السجدة . الآية رقم ٢٤ .

وقال عز وجل : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ إلى قوله : ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (١).

قال محمد بن الحسين : وهذا النعت ونحوه في القرآن يدل على فضل العلماء ، وأن الله - عز وجل - جعلهم أئمة للخلق ، يقتدون بهم .
أخبرنا أبو بكر ، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني ، حدثنا مروان بن عبد الله الرقي ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قول الله - عز وجل - : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ قال : العلم والفقه .

حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو الفضيل جعفر بن محمد الصندلي ، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني ، حدثنا شبابة ، حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿إِنَّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قال : الفقه ، والعقل ، والعلم .

أخبرنا أبو بكر ، حدثنا أبو بكر بن أبي داود ، حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا الحسين - يعني ابن حفص الأصهباني ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله الله - عز وجل - : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال : العقل ، والفقه ، والإصابة في القول في غير نبوة .

(١) سورة الفرقان . الآيات رقم ٦٣ - ٧٤ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا إبراهيم بن موسى الجردى ، أخبرنا يوسف بن موسى ، أخبرنا وكيع ، أخبرنا علي بن صالح ، عن عبد الله بن محمد بن عقیل ، عن جابر بن عبد الله في قول الله - عز وجل - : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ قال : أولو الفقه والخير .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأثنائي ، أخبرنا الحسين بن الأسود العجلي ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد في قول الله - عز وجل - : ﴿ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ قال : الفقهاء والعلماء . قال : وحدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا الفضل بن مهلهل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم مثله ^(١) .



(١) راجع الخطيب الفقيه والمتفقه ج ١ ص ٢٧ ، ٢٨ في تأويل قول الله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ .

باب ذكر ما جاءت به السنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أبي داود ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن عمرو المصري ، أخبرنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، عن عبد السلام بن سليم ، عن يزيد بن سمرة ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : « وَلَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُورَثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ » ^(١) .

(١) رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي واللفظ الذي نقله المنذرى في الترغيب والترهيب عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد ، كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

وجاء في هامش « المنتقى » من الترغيب والترهيب ج١ ص ٢٦ ط قطر .

ورواه أيضا أحمد والحاكم وصححه ، وحسنه حمزة الكناي ، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده ، لكن له شواهد يتقوى بها .

ورواه أيضا ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٣٤ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان ،
 أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ، أخبرنا حفص بن عمر عن عثمان بن
 عطاء عن ابنه ، عن أبي الدرداء ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
 « فَضَّلَ الْعَالِمُ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ
 وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِيْنَارًا وَلَا دِرْهَمًا
 وَلَكِنْهُمْ وَرَثَتُهُمُ الْعِلْمُ فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ » ^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يدينا الدقاق ،
 أخبرنا هرون بن عبد الله المزار ، أخبرنا يزيد بن هرون ، أنبأنا زيد بن
 عياض ، عن صفوان بن سليم ، عن سلمان بن يسار ، عن أبي هريرة -
 رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « مَا عُيِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ
 فِقْهِ فِي دِينٍ ، وَلَفَقِيَّةٍ وَاحِدَةٍ أَشَدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ وَلِكُلِّ
 شَيْءٍ عِمَادٌ وَعِمَادُ الدِّينِ الْفِقْهُ » ^(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا عمرو بن
 عثمان ، أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن روح بن جناح ، عن مجاهد ، عن
 ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « فَقِيَّةٌ وَاحِدَةٌ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ
 أَلْفِ عَابِدٍ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد ، أخبرنا داود بن
 رشيد ، أخبرنا الوليد ، عن روح بن جناح ، عن مجاهد قال : بينا نحن
 وأصحاب ابن عباس خلف المسجد : طاوس وسعيد بن جبير وعكرمة ،

(١) الخطيب الفقيه والمطه ج ١ ص ١٧ ط مكتبة أنس بن مالك ١٤٠٠ هـ .

(٢) الخطيب الفقيه والمطه ج ٢ ص ٧ .

وابن عباس قائم يصلى ، إذ وقف عليه رجل .

فقال : هل من مفت ؟

قلنا : سل ، فقال : إني كلما بلت تبعه الماء الدافق .

قال : قلنا : الذى يكون منه الولد ؟

قال : نعم .

قلنا : عليك الغسل .

قال : فولى الرجل وهو يرجع .

قال : وعجل ابن عباس فى صلاته ثم قال لعكرمة : على بالرجل ،
وأقبل علينا .

فقال : أرايتم ما أفتيتم به هذا الرجل عن كتاب الله ؟

قلنا : لا . قال : فمن رسول الله ﷺ ؟

قلنا : لا . قال : فمن أصحاب رسول الله ﷺ ؟

قلنا : لا . قال : فعمه ؟ قلنا : عن رأينا .

قال : فقال : فلذلك قال رسول الله ﷺ : « فقيه واحد أشد على
الشیطان من ألف عابد » .

قال : وجاء الرجل فأقبل عليه ابن عباس فقال : أرايت إذا كان ذلك
منك أتجد شهوة فى قبلك ؟

قال : لا . قال : فهل تجد خدرا فى جسدك ؟

قال : لا . قال : إنما هذه أبردة يجزيك منها الوضوء .

قال محمد بن الحسين : كيف لا يكون العلماء كذلك وقد قال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشي ، أخبرنا سليمان بن داود الشاذكوني ، أخبرنا عبد الواحد بن زياد ، أخبرنا معمر عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا أبو مسعود المصيصي ، أخبرنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا عبد الله بن مبارك ، أخبرنا يونس عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن قال : سمعت معاوية يخطب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا أبو محمد بن زنبور المكي ، أخبرنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) رواه البخاري ، ومسلم ، وابن ماجه ، ورواه أبو يعلى ، وزاد فيه :

« ومن لم يفقهه لم يبال به » .

انظر : المنتقى من الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٥ .

ورواه الطبراني في الكبير ولفظه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه . ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء » .

« مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »^(١) .

قال محمد بن الحسين : فلما أراد الله - تعالى - بهم خيراً فقههم في دينه ، وعلمهم الكتاب والحكمة ، وصاروا سراجاً للعباد ومناراً للبلاد .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا الهيثم بن خارجة ، أخبرنا رشدين بن سعد ، عن عبد الله بن الوليد النجيبى ، عن أبى حفص حدثه أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال النبى :
« إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ يُوْشِكُ أَنْ تُضِلَّ الْهَدَاةُ »^(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا الحسن بن موسى ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن ، أن أبا الدرداء قال :
« مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى بِهَا » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر أيضاً ، أخبرنا زهير بن محمد ، أنبأنا يعلى بن عبيد ، أخبرنا محمد بن إسحق ، عن عمه موسى بن يسار ، قال : بلغنا أن سلمان الفارسي كتب إلى أبى الدرداء : « إِنَّ الْعِلْمَ كَالْتِنَائِيعِ يَغْتَشَى النَّاسَ فَيُخْتَلِجُهُ هَذَا وَهَذَا . فَيَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ وَاحِدٍ ، وَإِنَّ حِكْمَةً لَا يَتَكَلَّمُ بِهَا كَجَسَدٍ لَا رُوحَ فِيهِ وَإِنَّ عِلْماً لَا يَخْرُجُ كَكَنْزٍ لَا يَنْفَقُ ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُعَلِّمِ كَمَثَلِ رَجُلٍ عَمِلَ سِرَاجاً فِي طَرِيقٍ مُظْلِمٍ يَسْتَضِيءُ

(١) ورواه الخطيب الفقيه والمتفقه جـ ١ ص ٧ .

(٢) الخطيب الفقيه والمتفقه جـ ٢ ص ٧٠ .

بِهِ مَنْ مَرَّ بِهِ وَكُلُّ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ » .

قال محمد بن الحسين : فما ظنكم - رحمكم الله - بطريق فيه آفات كثيرة ، ويحتاج الناس إلى سلوكه ، في ليلة ظلماء ، فإن لم يكن فيه ضياء ، وإلا تحيروا .

فقيض الله لهم فيه مصاييح تضيء لهم ، فسلوكه على السلامة والعافية .

ثم جاءت طبقات من الناس لا بد لهم من السلوك فيه فسلكوا ، فبينما هم كذلك إذ طفت المصاييح فبقوا في الظلمة ، فما ظنكم بهم ؟

هكذا العلماء في الناس ، لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض ولا كيف اجتناب المحارم ، ولا كيف يعبد الله ، في جميع ما يعبد به خلقه ، إلا ببقاء العلماء .

فإذا مات العلماء تحير الناس ، ودرس العلم بموتهم ، وظهر الجهل ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، مصيبة ما أعظمها على المسلمين .

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير ، أخبرنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا عطاء بن محمد الحراني ، عن بعض أصحابه قال : قال كعب : « عليكم بالعلم قبل أن يذهب ، فإن ذهاب العلم موت أهله ، موت العالم نجم طمس ، موت العالم كسر لا يجبر وثلمة لاتسد - بأى وأمى - العلماء قال : أحسبه قال : قبلتى إذا لقيتهم ، وضالتي إذا لم ألقهم ، لاخير في الناس إلا بهم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد : هرون بن يوسف التاجر ، أخبرنا ابن أبي عمر ، يعنى محمداً العدنى ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا إِنْمَا يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَنْقُ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا فَسُئِلُوا فَأَمَتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »^(١) ..

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا أحمد بن صالح ، أخبرنا عتبة ، أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرنا عروة بن الزبير ، عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ يُؤْتِيَهُمْ إِيَّاهُ وَلَكِنَّهُ يَذْهَبُ بِالْعُلَمَاءِ فَكُلَّمَا ذَهَبَ بِعَالِمٍ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ حَتَّى يَنْقُيَ مَنْ لَا يَعْلَمُ فَيَضِلُّونَ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد هرون بن يوسف ، أخبرنا ابن أبي عمر ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، قال : سمعت ابن مسعود يقول : « هل تدرون كيف ينقص الإسلام ؟ قالوا : كيف ؟ قَالَ : كَمَا يَنْقُصُ الدَّابَّةُ سِمْنَهَا ، وَكَمَا يَنْقُصُ الثَّوبُ عَنْ طُولِ النَّسْرِ ، وَكَمَا يَنْقُصُ الدَّرْهَمُ عَنْ طُولِ الْحَبْثِ ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْقَبِيلَةِ عَالِمَانِ فَيَمُوتُ أَحَدُهُمَا فَيَذْهَبُ نِصْفُ عَلَيْهِمُ وَيَمُوتُ الْآخَرُ فَيَذْهَبُ عِلْمُهُمْ كُلُّهُ » .

(١) رواه مسلم في صحيحه . كتاب العلم بلفظ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأماتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل العباس بن يوسف التكلي قال :
قال علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - :

كلام الحكيم حياة القلوب كويل السماء غياث الأثم
فنطق الحكيم جلاء الظلام وصمت الحكيم دعاء الحكم
حياة الحكيم جلاء القلوب كضوء النهار يجلى الظلم

قال محمد بن الحسين : وروى عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه -
أنه قال : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ وَمُدَارَسَتُهُ
تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَتَعْلِيمُهُ مَنْ لَا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ
قُرْبَةٌ لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَالْأَيْنِسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي
الْحُلُوةِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالزَّيْنُ عِنْدَ الْإِحْلَاءِ ، وَالْقَرِيبُ
عِنْدَ الْغُرْبَاءِ ، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا فَيَجْعَلُهُمْ فِي الْخَلْقِ قَادَةً يُقْتَدَى بِهِمْ ،
وَأُثْمَةً فِي الْخَلْقِ تُفْتَضُّ آثَارُهُمْ ، وَيُنْتَهَى إِلَيْهِ رَأْيُهُمْ . وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ
فِي حُبِّهِمْ بِأَجْنِحَتَيْهَا تَمْسَحُهُمْ ، حَتَّى كُلُّ رَطْبٍ وَيَاسٍ لَهُمْ مُسْتَغْفِرٌ ،
حَتَّى حَيْتَانِ الْبَحْرِ وَهَوَامُهُ ، وَسِبَاغُ الْبَرِّ وَأَنْعَامُهُ ، وَالسَّمَاءُ وَنُجُومُهَا ،
لَأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى ، وَنُورُ الْأَبْصَارِ مِنَ الظُّلْمِ ، وَقُوَّةُ
الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ ، يُلْبِغُ بِهِ الْعَبْدُ مَنَازِلَ الْأَحْرَارِ ، وَمُجَالَسَةُ الْمُلُوكِ ،
وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْفِكْرُ بِهِ يُعَدِّلُ بِالصِّيَامِ وَمُدَارَسَتُهُ
بِالْقِيَامِ ، بِهِ يَطَاعُ اللَّهُ - عز وجل - ، وَبِهِ يُعْبَدُ اللَّهُ - عز وجل - وَبِهِ
تُوصَلُ الْأَرْحَامُ ، وَبِهِ يُعْرَفُ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ ، إِمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ
تَابِعُهُ ، يُلْهِمُهُ السُّعْدَاءُ ، وَيُحَرِّمُهُ الْأَشْقِيَاءُ . »

وأخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا المصري ،
أخبرنا بشر بن بكر ، عن الأوزاعي ، عن عبد السلام بن سليم ، عن

يزيد بن سمرة ، عن كثير بن قيس ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّهُ لَيْسَتْغْفِرُ لِلْعَالِمِ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن موسى بن زنجويه القطان ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ، أخبرنا حفص بن عمر ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا سَلَكَ عَبْدٌ طَرِيقاً يَفْتَنِي فِيهِ عِلْماً إِلَّا سَلَكَ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أُنْحَثَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضاً عَنْهُ وَإِلَهُ لَيْسَتْغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا شيبان بن فروخ ، أخبرنا الصعق بن حزن ، أخبرنا علي بن الحكم ، عن المنهال بن عمرو ، عن زر بن حبيش ، أخبرنا صفوان بن عسال المرادي قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله : « إِنِّي جِئْتُ أُطَلِّبُ الْعِلْمَ . فَقَالَ : « مَرْحَباً بِطَالِبِ الْعِلْمِ إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتُخَفِّهُ الْمَلَائِكَةُ وَتُظِلُّهُ بِأَجْنَحَيْهَا ، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى يَتَلَفُوا سَمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يُطَلَّبُ » (١) ..

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن

(١) رواه أحما والطبراني بإسناد جيد ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ج ١ ص ١٠٠ وقال الهيثمي ج ١ ص ١٣١ : رجال الطبراني رجال الصحيح .

وروى ابن ماجه نحوه باختصار المتفق ج ١ ص ٢٧ .

عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حبیش ، قال : أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال : مَا جَاءَ بِكَ ؟ فقلت : جِئْتُ ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِيَطْلُبَ الْعِلْمَ إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أُجْرَتَهَا رِضًا لِمَا يَصْنَعُ » .

أخبرنا أبو بكر قاسم بن زكريا المطرز ، أخبرنا محمد بن الصباح الجرجاني ، أخبرنا جرير بن عبد الحميد ، عن الأعمش عن أوى صالح ، عن أوى هريرة ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ »^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن العباس الواسطى ، أخبرنا نصر بن على ، أخبرنا خالد بن يزيد ، أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ »^(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلوانى ، أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، أخبرنا عنبسة بن عبد الرحمن ، عن علاق بن

(١) رواه الترمذى فى سننه وقال : هذا حديث حسن .

ورواه ابن القيم فى مفتاح دار السعادة .

ورواه مسلم فى صحيحه من أوجه .

ورواه الحاكم فى المستدرک وقال : هو صحيح على شرط البخارى ومسلم .

(٢) رواه الترمذى فى سننه باب فضل العلم . وقال : هذا حديث حسن غريب .

ورواه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله باب جامع فى بيان فضل العلم .

أبى مسلم ، عن أبان بن عثمان ، عن أبيه عثمان - رضى الله عنه - قال :
 قال رسول الله ﷺ : « يُشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ
 الشُّهَدَاءُ » ^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار
 الصوفى ، أخبرنا شعاع بن محمد ، أخبرنا عبد بن العوام ، أخبرنا هشام
 عن الحسن بن قول الله - عز وجل - : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
 وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ قال : « الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا الْعِلْمُ وَالْعِبَادَةُ وَالْجَنَّةُ
 فِي الْآخِرَةِ » ^(٢) ..

قال محمد بن الحسين : فالعلماء في كل حال ، لهم فضل عظيم ، في
 خروجهم لطلب العلم ، وفي مجالستهم ، لهم فيه فضل ، وفي مذاكرة
 بعضهم لبعض لهم فيه فضل ، وفيمن تعلموا منه العلم لهم فيه فضل ،
 وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل ، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات
 كثيرة ، نفعا الله وإياهم بالعلم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفرياني ، أخبرنا هشام بن عمار الدمشقي ،
 أخبرنا صدقة بن خالد ، أخبرنا عثمان بن أبى العاتكة عن علي بن يزيد ،
 عن القاسم عن أبى أمامة الباهلي ، أن رسول الله ﷺ قال : « عَلَيْكُمْ
 بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ثُمَّ جَمَعَ بَيْنَ أَصْبَغِهِ الْوُسْطَى وَالتَّى

(١) رواه ابن ماجه في سننه ، باب ذكر الشفاعة . ولفظه : « يشفع يوم القيامة ثلاثة :
 الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء » .

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ٣٠ ط دار الكتب العلمية
 بيروت ١٣٩٨ هـ .

عَلَى الْإِبْهَامِ وَقَالَ : « الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ وَالْآخِرِ فِي سَائِرِ النَّاسِ بَعْدُ » ^(١) .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ ، أَخْبَرَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا نُورُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : « الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لَآخِرٍ فِيهِمْ » .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَخْبَرَنَا الْفَرِيائِيُّ ، أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، أَخْبَرَنَا ابْنُ لُحَيْمَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَرْبَعَةٌ تُجْرَى عَلَيْهِمْ أَجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ : الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ^(٢) وَمَنْ عِلِمَ عِلْمًا أُجِرَى لَهُ مَا عَمِلَ بِهِ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهُ يُجْرَى مَا جَرَتْ ، وَرَجُلٌ تَرَكَ أَوْلَادًا صِغَارًا فَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ » ^(٣) .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلِ الْأَشْثَانِيُّ أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْأَسْوَدِ الْعَجَلِيُّ ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ أَخْبَرَنَا قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ، أَخْبَرَنَا شَمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب قوله ﷺ : « العالم والمتعلم شريكان » ج ٢ ص ١٨ .

(٢) المرابط في سبيل الله : المقيم في مكان الغزو في سبيل رفعة الدين .

(٣) ذكره المنذرى في الترغيب والترهيب ، باب الترغيب في نشر العلم والدلالة على الخير وقال : رواه الإمام أحمد والبخاري والطبراني في الكبير والأوسط وهو صحيح مفرقا من حديث غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم .

المنذرى الترغيب والترهيب ج ١ ص ١١٩ ط الحلبي بمصر .

« مُعَلِّمُ الْخَيْرِ وَمُعَلِّمُهُ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَوْتُ فِي الْبَحْرِ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زياد بن أيوب ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا سيار ، عن الشعبي قال : قال عبد الله بن مسعود : إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا قِيلَ لَهُ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا . فقال عبد الله : إِنَّا كُنَّا نُشَبِّهُ مُعَاذًا بِإِبْرَاهِيمَ . قال : قِيلَ لَهُ : فَمَا الْقَانِتُ ؟ قَالَ : الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا الحسن بن ذكوان ، عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ ثُمَّ تُعَلِّمَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

قال محمد بن الحسين : قد اختصرت من فضل العلماء وما خصهم الله - عز وجل - به عن سائر المؤمنين ما فيه بلاغ لمن تدبره ، فألزم نفسه الطلب للعلم ليكون معهم . وذلك بتوفيق الله - عز وجل .

فإن قال قائل : من علم العلم وحفظه وناظر فيه يدخل في هذا الفضل الذي ذكرت ؟ قبل له : أرجو أن لا يخلى الله كل مسلم طلب الخير والعلم من خيره الذي وعد به العلماء ، ولكن قد ذكرت لهم أوصاف وأخلاق فنحن نذكرها ، فمن تدبرها من أهل العلم رجع إلى نفسه ، فإن كان منهم شكر الله - عز وجل - على ما خصه به وإن لم تكن أوصافه منهم ، وكان ممن علمه حجة عليه استغفر الله - عز وجل - ورجع إلى الحق من قريب ، والله ولي التوفيق .

باب أوصاف العلماء

الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة

قال محمد بن الحسين : لهذا العالم صفات ، وأحوال شتى ، ومقامات لا بد له من استعمالها ، فهو مستعمل في كل حال ما يجب عليه .

فله صفة في طلبه للعلم كيف يطلبه .

وله صفة في كثرة العلم ، إذا كثر عنده ما الذى يجب عليه فيه فيلزمه نفسه .

وله صفة إذا جالس العلماء كيف يجالسهم .

وله صفة إذا تعلم من العلماء كيف يتعلم .

وله صفة كيف يعلم غيره .

وله صفة إذا ناظر في العلم كيف يناظر .

وله صفة إذا أفتى الناس كيف يفتى .

وله صفة كيف يجالس الأمراء إذا ابتلى بمجالستهم ، ومن يستحق أن يجالسه ومن لا يستحق .

وله صفة عند معاشرته لسائر الناس ممن لا علم منه .

وله صفة كيف يعبد الله - عز وجل - فيما بينه وبينه ، قد أعد لكل حق يلزمه ما يقويه على القيام به ، وقد أعد لكل نازلة ما يسلم به من شرها

فى دىنه ، عالم بما يحتلب به الطاعات ، عالم بما يدفع به البليات ، قد اعتقد الأخلاق السنية واعتزل الأخلاق الدنية .

ذكر صفته فى طلب العلم :

فمن صفته لإرادته فى طلب العلم : أن يعلم أن الله - عز وجل - فرض عليه عبادته ، والعبادة لاتكون إلا بعلم ، وعلم أن العلم فريضة عليه ، وعلم أن المؤمن لايمحسن به الجهل ، فطلب العلم لينفى عن نفسه الجهل ، وليعبد الله - عز وجل - كما أمره ، ليس كما تهوى نفسه .

فكان هذا مراده فى السعى فى طلب العلم ، معتقدا للإخلاص فى سعيه ، لايرى لنفسه الفضل فى سعيه ، بل يرى لله - عز وجل - الفضل عليه إذ وفقه لطلب علم مايعبده به من أداء فرائضه ، واجتناب محارمه .

ذكر صفته فى مشيه إلى العلماء :

يمشى برفق ، وحلم ، ووقار ، وأدب ، مكتسب فى مشيه كل خير ، تارة يحدث نفسه بنعم الله - عز وجل - عليه ، ويقتضى منها الشكر ، ويستعيذ بالله من شر سمعه ، وبصره ، ولسانه ، ونفسه ، وشيطانه ، فإن بلى بمصاحبة الناس فى طريقه ، لم يصاحب إلا من يعود عليه نفعه .

قد أقام الأصحاب مقام ثلاثة : إما رجل يتعلم منه خيرا إن كان أعلم منه . أو رجل هو مثله فى العلم فيذاكره العلم لئلا ينسى ما لا ينبغي أن ينساه ، أو رجل هو أعلم منه فيعلمه ما يريد الله - عز وجل - بتعليمه إياه ، لايميل من أصحابه لكثرة صحبه ، بل يحب ذلك لما يعود عليه من بركته .

قد شغل نفسه بهذه الخصال ، خائف على نفسه أن يشتغل بغير الحق ،
قد أجمع الحذر من عدوه الشيطان ، كراهية أن يزين له قبيح مانى عنه .

يكثّر الاستعاذة بالله من علم لا ينفع ، ويسأله علما نافعا ، همه في تلاوة
كلام الله - عز وجل - الفهم عن الله فيما أمر ونهى ، وفي حفظ السنن
والآثار والفقه ، لئلا يضيع ما أمر به ، ولأن يتأدب بالعلم ، طويل
السكوت عما لا يعنيه حتى يشتاق جلسيه إلى حديثه .

إن ازداد علما خاف من ثبات الحجة ، فهو مشفق في علمه كلما
ازداد علما ازداد إشفاقا .

إن فاته سماع علم قد سمعه غيره فحزن على فوته لم يكن حزنه بغفلة
حتى يواقف نفسه ويحاسبها على الحزن .

فيقول : لم حزنت ؟! احذرى يانفسى أن يكون الحزن عليك لا لك ،
إذا سمعه غيرك فلم تسمعيه أنت ، فكان أولى بك أن تحزنى على علم قد
قرع السمع ، وقد ثبتت عليك به الحجة فلم تعملى به ، فكان حزنك
على ذلك أولى من حزنك على علم لم تسمعيه ، ولعلك لو قدر لك سماعه
كانت الحجة عليك أوكد ، فاستغفر الله من حزنه ، وسأل مولاه الكريم
أن ينفعه بما قد سمع .

صفة مجالسته للعلماء :

فإذا أحب مجالسة العلماء ، جالسهم بأدب ، وتواضع في نفسه ،
وخفض صوته عند صوتهم ، وسألهم بخضوع ، ويكون أكبر سؤاله : عن
علم ماتبعده الله به ، ويخبرهم أنه فقير إلى علم مايسأل عنه

فإذا استفاد منهم علما أعلمهم : أنى قد أفدت خيرا كثيرا ، ثم شكرهم على ذلك ، وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم ، ونظر إلى السبب الذى من أجله غضبوا عليه ، فرجع عنه واعتذر إليهم ، لا يضجرهم فى السؤال ، رفيق فى جميع أموره ، لا يناظرهم مناظرة من يريهم : أنى أعلم منكم . وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم ، مع حسن التلطف لهم ، لا يجادل العلماء ، ولا يمارى السفهاء ، يحسن التأنى للعلماء مع توقيره لهم ، حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهما فى دينه .

صفته إذا عرف بالعلم :

فإذا نشر الله له الذكر عند المؤمنين ، أنه من أهل العلم ، واحتاج الناس إلى ما عنده من العلم ، ألزم نفسه التواضع للعالم وغير العالم . فأما تواضعه لمن هو مثله فى العلم ، فإنها محبة تنبت له فى قلوبهم ، وأحبوا قربه ، وإذا غاب عنهم حنت إليه قلوبهم .

وأما تواضعه للعلماء فواجب عليه إذ أراد العلم ذلك .

وأما تواضعه لمن هو دونه فى العلم فشرف العلم له عند الله وعند أولى الألباب ، وكان من صفته فى علمه وصدقه وحسن إرادته يريد الله بعلمه .

فمن صفته أنه لا يطلب بعلمه شرف منزلة عند الملوك ، ولا يحمله إليهم ، صائن للعلم إلا عن أهله ، ولا يأخذ على العلم ثمناً ، ولا يستقضى به الحوائج ، ولا يقرب أبناء الدنيا ، ويواعد الفقراء ، ويتجافى عن أبناء الدنيا . يتواضع للفقراء والصالحين ليفيدهم العلم .

وإن كان له مجلس قد عرف بالعلم ألزم نفسه حسن الإدارة لمن جالسه ، والرفق بمن سأل ، واستعمال الأخلاق الجميلة ، ويتجافى عن الأخلاق الدنية .

فأما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئاً عن فهم حتى يفهم عنه .

صبور على جفاء من جهل علمه حتى يزيده بحلم . يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب ، لا يدعهم يخوضون فيما لا يعنينهم ، ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم .

فإن تخطى أحدهم إلى خلق لا يحسن بأهل العلم لم يجبه في وجهه على جهة التبكيت له ، ولكن يقول : لا يحسن بأهل العلم والأدب كذا وكذا ، فيكون الفاعل للخلق لا يحسن قد علم أنه المراد بهذا فيبادر برفقه به .

إن سأل من سأل عما لا يعنيه رده عنه ، وأمره أن يسأل عما يعنيه ، فإذا علم أنهم فقراء إلى علم قد أغفلوه عنه أبداه إليهم ، وأعلمهم شدة فقرهم إليه ، لا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله ، ولا يزرجه فيضع من قدره ، ولكن يبسطه في المسألة ليجبره فيها قد علم بغيته عما يعنيه ، ويحثه على طلب علم الواجبات من علم أداء فرائضه واجتناب محارمه ، يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه ، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمرء .

يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة .

يسكت عن الجاهل حلما ، وينشر الحكمة نصحا ، فهذه أخلاقه لأهل مجلسه وما شاكل هذه الأخلاق .

وأما ما يستعمل مع من يسأله عن العلم الفتيا : فإن من صفته إذا سأله سائل عن مسألة ، فإن كان عنده علم أجاب ، وجعل أصله أن الجواب من كتاب أو سنة أو إجماع .

فإذا أوردت عليه مسألة قد اختلف فيها أهل العلم اجتهد فيها ، فما كان أشبه بالكتاب والسنة والإجماع ولم يخرج به من قول الصحابة ، وقول الفقهاء بعدهم قال به إذا كان موافقا لقول بعض الصحابة وقول بعض أئمة المسلمين قال به .

وإن كان قد رآه مما يخالف به قول الصحابة وقول فقهاء المسلمين حتى يخرج عن قولهم لم يقل به واتهم رأيه ، ووجب عليه أن يسأل من هو أعظم منه أو مثله ، حتى يتكشف له الحق ، ويسأل مولاه أن يوفقه لإصابة الخير والحق .

وإذا سئل عن علم لا يعلمه لم يستح أن يقول : لا أعلم ، وإذا سئل عن مسألة فعلم أنها من مسائل الشغب ومما يورث بين المسلمين الفتنة استعفى منها ، ورد السائل إلى ما هو أولى به على أرفق ما يكون ، وإن أفتى بمسألة فعلم أنه أخطأ لم يستنكف أن يرجع عنها .

وإن قال قولا فرده عليه غيره ممن هو أعلم منه أو مثله أو دونه فعلم أن القول كذلك ، يرجع عن قوله وحمده على ذلك وجزاه خيرا .

وإن سئل عن مسألة اشتبه القول عليه فيها قال : سلوا غيري ، ولم يتكلف مالا يتقرر عليه ، يحذر من المسائل المحدثات في البدع ولا يصغى

إلى أهلها بسمعه ، ولايرضى بمجالسة أهل البدع ، ولايماريهم ، أصله
الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ، ومن بعدهم من التابعين ، ومن
بعدهم من أئمة المسلمين ، يأمر بالاتباع وينهى عن الابتداع ، لايجادل
العلماء ولايمارى السفهاء .

همه فى تلاوة كلام الله الفهم ، وفى سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضيع
مالله عليه ، وليعلم كيف يتقرب إلى مولاه ، مذكر للغافل ، معلم
للجاهل ، يضع الحكمة عند أهلها ، ويمنعها من ليس بأهلها ، مثله مثل
الطبيب يضع الدواء بحيث يعلم أنه ينفع .

فهذه صفته ، وما يشبه هذه الأخلاق الشريفة ، إذ كان الله - عز
وجل - قد نشر له الذكر بالعلم ، فى قلوب الخلق ، فكلما ازداد علما ،
ازداد لله تواضعا يطلب الرفعة من الله - عز وجل - مع شدة حذره
من واجب مايلزمه من العلم .



ذكر صفة مناظرة هذا العالم

إذا احتاج إلى المناظرة

قال محمد بن الحسين : اعلّموا - رحمكم الله ، ووقفنا وإياكم للرشاد - أن من صفة هذا العالم ، العاقل ، الذى فقهه الله فى الدين ، ونفعه بالعلم : أن لا يجادل ، ولا يبارى ، ولا يغالب بالعلم ، إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافى .

وذلك يحتاج فى وقت من الأوقات إلى مناظرة أحد من أهل الزيف ليدفع بحقه باطل من خالف الحق ، وخرج عن جماعة المسلمين ، فتكون غلبته لأهل الزيف ، تعود بركة على المسلمين ، على جهة الاضطرار إلى المناظرة ، لا على الاختيار .

لأن من صفة العالم العاقل ، أن لا يجالس أهل الأهواء ، ولا يجادلهم ، فأما فى العلم ، والفقه ، وسائر الأحكام فلا .

فإن قال قائل : فإن احتاج إلى علم مسألة قد أشكل عليه معرفتها لاختلاف العلماء فيها ، لابد له من أن يجالس العلماء وينظرهم ، حتى يعرف القول فيها ، على صحته ، وإن لم ينظر لم تقو معرفته .

قيل له : بهذه الحجة ، يدخل العدو على النفس للهوى ، فتقول إن لم تناظر وتجادل لم تفقه فيجعل هذا سببا للجدل والمراء المنهى عنه ، الذى يخاف منه سوء عاقبته ، الذى حذرناه النبى ﷺ وحذرناه العلماء من أئمة المسلمين .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ » .

وعن مسلم بن يسار ، أنه كان يقول : إياكم والمراء ، فإنها ساعة جهل العالم وبها يتغنى الشيطان زلته .

وعن الحسن قال : مارأينا فقيها يمارى ، وعن الحسن أيضا قال : « المؤمن يدارى ولا يمارى ، ينشر حكمة الله فإن قبلت حمد الله ، وإن ردت حمد الله » .

وروى عن معاذ بن جبل أنه قال : « إذا أحببت أخا فلا تماره ، ولا تشاره ، ولا تمازحه » .

قال محمد بن الحسين : وعند الحكماء : « إن المراء أكثره يغير قلوب الإخوان ، ويورث التفرقة بعد الألفة ، والوحشة بعد الأنس » .

وعن أبى أمانة عن النبي ﷺ قال : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْثُوا الْجَدَلَ » .

فالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يَخَافُ عَلَى دِينِهِ مِنَ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ .

فإن قال قائل : فما يصنع في علم قد أشكل عليه ؟

قيل له : إذا كان كذلك . وأراد أن يستنبط علم ما أشكل عليه ، قصد إلى عالم ممن يعلم أنه يريد بعلمه الله ممن يرتضى علمه وفهمه وعقله ، فذاكره مذاكرة من يطلب الفائدة ، وأعلمه أن مناظرتي إياك مناظرة من يطلب الحق ، وليست مناظرة مغالب ، ثم ألزم نفسه الإنصاف

له في مناظرته ، وذلك أنه واجب عليه أن يحب صواب مناظره ، ويكره خطأه ، كما يحب ذلك لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

ويعلمه - أيضا - إن كان مرادك في مناظرتي أن أخطيء الحق ، وتكون أنت المصيب ويكون أنا مرادى أن تخطيء الحق وأكون أنا المصيب ، فإن هذا حرام علينا فعله ، لأن هذا خلق لا يرضاه الله منا . واجب علينا أن نتوب من هذا ، فإن قال : فكيف نتناظر ؟ قيل له : مناصحة .

فإن قال : كيف المناصحة ؟ أقول له : لما كانت مسألة فيما بيننا أقول أنا : إنها حلال وتقول أنت : إنها حرام ، فحكمنا جميعا أن نتكلم فيها كلام من يطلب السلامة .

مرادى أن ينكشف لى على لسانك الحق ، فأصير إلى قولك أو ينكشف لك على لساني الحق فتصير إلى قولى مما يوافق الكتاب والسنة والإجماع . فإن كان هذا مرادنا رجوت أن تحمد عواقب هذه المناظرة ، وتوفق للصواب ، ولا يكون للشيطان فيما نحن فيه نصيب .

ومن صفة هذا العالم العاقل : إذا عارضه في مجلس العلم ، والمناظرة بعض من يعلم أنه يريد مناظرته للجدل ، والمراء ، والمغالبة ، لم يسعه مناظرته .

لأنه قد علم أنه إنما يريد أن يدفع قوله ، وينصر مذهبه ، ولو أتاه بكل حجة مثلها يجب أن يقبلها لم يقبل ذلك ونصر قوله .

ومن كان هذا مراده لم تؤمن فتنته ، ولم تحمد عواقبه ، ويقال لمن مراده فى المناظرة ، والمغالبة ، والجدل : أخبرنى إذا كنت أنا حجازيا وأنت عراقيا ، وبيننا مسألة على مذهبى .

أقول أنا إنها حلال ، وعلى مذهبك إنها حرام ، فسألتنى المناظرة لك عليها ، وليس مرادك فى مناظرتك الرجوع عن قولك ، والحق عندك ، أن أقول فيها قولك ، كان عندى أنا أن أقول ، وليس مرادى فى مناظرتى الرجوع عما هو عندى وإنما مرادى أن أرد قولك ، ومرادك أن ترد قولى فلا وجه لمناظرتنا .

فالأحسن بنا السكوت على ما تعرف من قولك ، وعلى ما أعرف من قولى ، وهو أسلم لنا ، وأقرب إلى الحق الذى ينبغى أن نستعمله ، فإن قال : وكيف ذلك ؟ قيل : لأنك تريد أن أخطيء الحق ، وأنت على الباطل ، ولا أوافق الصواب ، ثم تسر بذلك ، وتبتهج به ، ويكون مرادى فيك كذلك ، فإذا كنا كذلك فنحن قوم سوء لم نوفق للرشاد ، وكان العلم علينا حجة ، وكان الجاهل أعذر منا .

قال محمد بن الحسين : وأعظم من هذا كله ، أنه ربما احتج أحدهما به عن رسول الله ﷺ على خصمه فيردها عليه بغير تمييز ، كل ذلك يخشى أن تنكسر حجته ، حتى أنه لعله أن يقول بسنة عن رسول الله ﷺ ثابتة ، فيقول هذا باطل ، وهذا لأقول به ، فيرد سنة رسول الله ﷺ برأيه ، بغير تمييز .

وممنهم من يحتج في مسألة بقول صحابي ، فيرد عليه خصمه ذلك ، ولا يلتفت إلى ما يحتج عليه ، كل ذلك نصرة منه لقوله ، لا يبالى أن يرد السنن ، والآثار .

قال محمد بن الحسين : من صفة الجاهل الجدل ، والمرء ، والمغالبة ، ونعوذ بالله ممن هذا مراده .

ومن صفة العالم العاقل المناصحة في مناظرته ، وطلب الفائدة لنفسه ، ولغيره ، كثر الله في العلماء مثل هذا ، ونفعه بالعلم ، وزينه بالحلم ..



ذكر أخلاق هذا العالم

ومعاشرته لمن عاشره من سائر الخلق

قال محمد بن الحسين : من كانت صفاته في علمه ما تقدم ذكرنا له من أخلاقه والله أعلم أن يأمن شره من خالطه ، ويأمل خيره من صاحبه ، لا يؤاخذ بالعترات ، ولا يشيع بالذنوب عن غيره ، ولا يقطع بالبلاغات ، ولا يفشي سر من عاداه ، ولا ينتصر منه بغير حق ، ويعفو ويصفح عنه ، دليل للحق ، عزيز عن الباطل ، كاظم للغيب عمن آذاه ، شديد البغض لمن عصى مولاه ، يجيب السفية بالصمت عنه ، والعالم بالقبول منه .
لامداهن ، ولا مشاحن ، ولا محتال ، ولا حسود ، ولا حقود ، ولا سفية ، ولا جاف ، ولا فظ ، ولا غليظ ، ولا طعان ، ولا لعان ، ولا مغتاب ، ولا سباب .

يخالط من الإخوان من عاونه على طاعة ربه ، ونهاه عما يكره مولاه ، ويخالق بالجميل من لا يأمن شره إبقاء على دينه .

سلم القلب للعباد من الغل ، والحسد ، يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين ، في كل ما أمكن فيه العذر ، لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد ، يدارى جهل من عامله برفقته .

إذا تعجب من جهل غيره ، ذكر أن جهله أكثر فيما بينه وبين ربه - عز وجل .

لا يتوقع له بائقة ، ولا يخاف منه غائلة ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في جهد .

ذكر أخلاق هذا العالم

وأوصافه فيما بينه وبين ربه - عز وجل -

قال محمد بن الحسين : جميع ماتقدم ذكرنا له ، مما ينبغي للعالم أن يستعمل من الأخلاق الشريفة كلها ما تجرى له بتوفيق من مولاه الكريم ، ومن جرى له التوفيق بما ذكرنا ، كان استعماله للأخلاق الشريفة فيما بينه وبين ربه - عز وجل - أعظم شأنًا مما قد أوصله مولاه الكريم إلى قلبه يمتعه بها شرفًا له بما خصه من علمه إذ جعله وارث علم الأنبياء وقرّة عين الأولياء ، وطيبيا لقلوب أهل الجفاء .

فمن صفته أن يكون لله شاكرًا ، وله ذاكرًا ، دائم الذكر بحلاوة حب المذكور .

منعم قلبه بمناجاة الرحمن ، يعد نفسه مع شدة اجتهاده خاطئًا مذنبًا ، ومع الدؤوب على حسن العمل مقصرًا .

لجأ إلى الله - عز وجل - فقوى ظهره ، ووثق بالله فلم يخف غيره ، مستغن بالله عن كل شيء ، ومفتقر إلى الله في كل شيء ، إنه بالله وحده ، ووحشته ممن يشغله عن ربه .

إن ازداد علما خاف توكيد الحجة ، مشفق على ماضى من صالح عمله أن لا يقبل منه .

همه في تلاوة كلام الله الفهم عن مولاه ، وفي سنن الرسول ﷺ الفقه لئلا يضيع ما أمر به ، متأدب بالقرآن والسنة ، لا ينافس أهل الدنيا في

عزها ، ولا يجزع من ذلها ، يمشى على الأرض هونا بالسكينة والوقار ،
ويشتغل قلبه بالفهم والاعتبار .

إن فرغ قلبه عن ذكر الله فمصيبة عنده عظيمة ، وإن أطاع الله -
عز وجل - بغير حضور فهم ، فخرسان عنده مبين .
يذكر الله مع الذاكرين .

ويعتبر بلسان الغافلين ، عالم بداء نفسه ، ومتهم لها في كل حال .
اتسع في العلوم ، فتراكت على قلبه الفهوم ، فاستحى من الحى
القيوم ، وشغله بالله في جميع سعيه متصل ، وعن غيره منفصل .

فإن قال قائل : فهل لهذا النعت الذى نعت به العلماء ، ووصفتهم
به أصل في القرآن أو السنة ، أو أثر عن تقدم ؟ قيل له : نعم ، وسنذكر
منه ما يدل على ما قلناه إن شاء الله .

قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ
رَبِّنَا لِمَفْعُولٍ * وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ ^(١) أفلا ترى -
رحمك الله - كيف وصف العلماء بالبكاء ، والخشية ، والطاعة ، والتذلل
فيما بينه وبينهم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفرياني ، أخبرنا أبو بكر بن أبى شيبة ، أخبرنا
أبو أسامة ، عن مسعر قال : سمعت عبد الأعلى التيمي يقول : « مَنْ أُوتِيَ
مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ ، فَخَلِيقٌ أَنْ لَا يَكُونَ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ

(١) سورة الإسراء الآية رقم ١٠٧ - ١٠٩

وَجَلَّ نَعَتْ الْعُلَمَاءَ ، وَقَرَأَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ ، حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَيُّوبَ السَّقَطِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو هَمَامٍ ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : « مِنْهُوَ مَا لَا يَشْبَعَانِ : صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الدُّنْيَا لَا يَسْتَوِيَانِ ، أَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ رِضَا اللَّهِ ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ » قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ثُمَّ قَرَأَ لِلْآخِرِ : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، أَخْبَرَنَا قُطَيْبُ بْنُ تَسِيرٍ ، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مَطَرِ الْوَرَّاقِ ، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ قَالَ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ : خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَالْعِلْمُ بِهِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَكَارٍ ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدَةُ بْنُ حَمِيدٍ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرَّةٍ ، قَالَ : قَالَ مَسْرُوقٌ : « بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ ، وَبِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ يَعْجَبَ بِعِلْمِهِ » .

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ زَنْجَوِيهِ ، أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ الدَّمَشَقِيُّ ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، أَخْبَرَنَا الْأَوْزَاعِيُّ : قَالَ :

سمعت يحيى بن أبي كثير يقول : « الْعَالَمُ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَخَشِيَئَهُ اللَّهَ الْوَرَعُ »^(١).

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن زاطيا ، أخبرنا عبد الله بن عمر القواريري ، أخبرنا حماد بن زيد ، قال : سمعت أيوب يقول : « ينبغي للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعا لله - عز وجل »^(٢).

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي ، أخبرنا أبو بكر بن زنجويه ، أخبرنا نعيم بن حماد ، عن ابن المبارك ، عن زائدة ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : « إن كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه ، وبصره ، ولسانه ، ويده ، وزهده ، وإن كان الرجل ليطلب الباب من أبواب العلم ، فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا ، ومافيا ، لو كانت له فجعلها في الآخرة »^(٣).

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو سعيد الفضل بن ميمون الخياط قال : سمعت ابن عيينة يقول : « إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل ، فما أصنع بالعلم الذي كتبت ».

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني ، أخبرنا أبو بدر ، أخبرنا زياد بن خيثمة ،

(١) الخطيب الفقيه والمطهقه باب أدب الجدل ج ١ ص ٣٠ .

(٢) الخطيب الفقيه والمطهقه باب استعمال العبد التواضع ولين الجانب ولطف الكلام ج ٢ ص ١١٣ .

(٣) ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله باب جامع في فضل العلم ج ١ ص ٥٣ .

عن أنى إسحق ، عن عاصم بن ضمرة ، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه ، من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن إلى غيره ، ولاخير فى عبادة ليس فيها تفقه ، ولاخير فى تفقه ليس فيه تفهم ، ولاخير فى قراءة ليس فيها تدبر »^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا هرون الحمال ، أخبرنا سيار ، أخبرنا جعفر بن سليمان ، أخبرنا مطر الوراق ، قال : سألت الحسن عن مسألة فقال فيها . فقلت : يا أبا سعيد يأتى عليك الفقهاء ، ويخالفونك ، فقال : « ثكلتك أمك مطر ، وهل رأيت فقيها قط ، وهل تدرى ما الفقيه ؟ الفقيه الورع الزاهد الذى لايسخر ممن أسفل منه ، ولايهمز من فوقه ، ولا يأخذ على علم علمه الله حظاما »^(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا عمر بن أيوب السقطى ، أخبرنا الحسن بن عرفة ، أخبرنا المبارك بن سعيد ، عن أخيه سفيان الثورى عن عمران المنقرى ، قال : قلت للحسن يوما فى شيء قاله : يا أبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء ، قال فقال : ويحك أو رأيت أنت فقيها قط ؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، البصير فى أمر دينه ، المداوم على عبادة الله - عز وجل -^(٣) .

(١) الخطيب الفقيه والمتفقه باب ورع المفتى وتحفظه ج ٢ ص ١٦١ .

(٢) الخطيب الفقيه والمتفقه باب ورع المفتى وتحفظه ج ٢ ص ١٦٢ .

(٣) رواه الدارمى فى سننه باب من قال : العلم الخشية وتقوى الله .

أخبرنا أبو بكر ، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا الحكم بن موسى بن أبي كردم كذا ، وقال غيره : ابن أبي درم ، عن وهب بن منبه قال : بلغ ابن عباس عن مجلس ، كان في ناحية بني سهم ، يجلس فيه ناس من قريش ، يختصمون فترتفع أصواتهم فقال ابن عباس : انطلق بنا إليهم ، فانطلقنا حتى وقفنا .

فقال ابن عباس : أخبرهم عن كلام الفتى الذى كلم به أيوب في حاله ، قال أيوب : فقلت : قال الفتى : ياأيوب أما كان في عظمة الله ، وذكر الموت مايكل لسانك ، ويقطع قلبك ، ويكسر حجتك ؟!

ياأيوب : أما علمت أن لله عبادا أسكنتهم خشية الله ، من غير عصى ، ولا بكم ، وأنهم هم النبلاء ، الفصحاء ، الطلقاء ، الألباء ، العالمون بالله ، وآياته ، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله ، انقطعت قلوبهم ، وكلت ألسنتهم ، وطاشت عقولهم ، وأخلاقهم ، فرقا من الله ، وهيبة له .

وإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله - عز وجل - بالأعمال الزاكية ، لا يستكثرون لله الكثير ، ولا يرضون له بالقليل ، يعدون أنفسهم مع الظالمين ، الخاطئين . وإنهم لأنزاه ، أبرار ، ومع المضيعين ، المفرطين ، وإنهم لأكياس ، أقوياء ، ناحلون ، دائبون يراهم الجاهل فيقول : مرضى وليسوا بمرضى ، قد خولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم ^(١) .

قال محمد بن الحسين : هذه الأخبار تدل على ما وصفنا به العلماء والفقهاء ، فإن قال قائل : ولم داخل العلماء هذا الإشفاق الشديد ،

(١) رواه ابن المبارك في كتاب الزهد ص ٥٢٦ .

وخافوا من علمهم هذا الخوف كله ؟

قيل له : علموا أن الله - عز وجل - يسألهم عن علمهم ، ما عملوا فيه ، فجعلوا مسألة الله نصب أعينهم ، فألزموا أنفسهم شدة الحذر ، وأخذوا بالثقة في كل أمرهم .

إن قال قائل : فإن العلماء يسئلون عن علمهم ما عملوا فيه ؟ قيل : نعم .

فإن قال : فاذكر من ذلك ما إذا سمعه العالم انتبه من رقدته ، وأخذ نفسه بلزوم أخلاق من ذكرت ، والله موفقنا قيل : نعم . إن شاء الله - تعالى - .



باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا فيه

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد اليماني في المسجد الحرام ، أخبرنا صامت بن معاذ ، أخبرنا عبد الحميد ، عن سفيان الثوري ، عن صفوان بن سليم ، عن عدي بن عدي ، عن الصنابحي عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَقْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَلْفَقَهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ » (١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي ، أخبرنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالوا : أخبرنا الأسود بن عامر ، عن أبي بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن سعيد بن عبد الله بن جريج ، عن أبي بردة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَقْنَاهُ ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ... » وذكر باقي الحديث .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا محمد بن بكار القيسي ، أخبرنا أبو محسن حصين بن نمير ، عن حسين بن قيس ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : « لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ خِصَالٍ : عَنْ عُمْرِكَ فِيمَا أَقْنَيْتَ ،

(١) رواه الترمذی وقال : حديث حسن صحيح .

وَعَنْ شَبَابِكَ فِيمَا أُبْلِيتَ ، وَعَنْ مَالِكَ مِنْ أَيْنَ اخْتَسَبْتَ وَفِيمَا أُنْفَقْتَ ،
وَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا قتيبة بن سعيد وشيبان بن
فروخ قالا : أخبرنا أبو عوانة ، أخبرنا هلال بن أبي حميد . وقال قتيبة :
عن هلال الوزان ، عن عبد الله بن عكيم . قال : سمعت ابن مسعود في
هذا المسجد - يعنى مسجد الكوفة - بدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال :
« والله ما منكم من أحد إلا وإن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر
ليلة البدر ثم يقول : يابن آدم ما غرك لى - ثلاث مرار - ماذا أجبت
المرسلين ؟ . كيف عملت ؟ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن
الحسن المروزي ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا سليمان بن المغيرة ،
عن حميد بن هلال ، قال : قال أبو الدرداء : « إن أخوف ما أخاف إذا
وقفت على الحساب ، أن يقال : قد علمت ، فماذا عملت فيما
علمت ؟ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، أخبرنا بندار محمد بن
بشار ، أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، عن
حبيب بن عبيد ، قال : قال أبو الدرداء : « لاتكون عالما حتى تكون
بالعلم عاملا » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي ، أخبرنا حسن
الزعفراني ، أخبرنا محمد بن يزيد بن خنيس ، أخبرنا عمرو بن قيس ،
حدثني عطاء ، قال : كان فتى يختلف إلى أم المؤمنين فيسألها وتحديثه ،

فجاء ذات يوم يسأها فقالت : يا بنى هل عملت بما سمعت ؟ فقال : لا والله يا أمه ؟ قالت : يا بنى فقيم تستكثر من حجج الله علينا وعليك ؟! أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن جعفر بن برقان ، عن ميمون بن مهران ، أن أبا الدرداء . قال : « ويل للذى لا يعلم مرة ، وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات » .

قال محمد بن الحسين : « من تدبر هذا أشفق من علمه أن يكون عليه ، لا له ، فإذا أشفق مقت نفسه ، وبان بأخلاقه الشريفة ، التى تقدم ذكرنا لها ، والله الموفق لنا ولكم ، إلى الرشاد من القول والعمل .



كتاب أخلاق العالم الجاهل المفتن بعلمه

قال محمد بن الحسين : قد تقدمت الأخبار عن النبي ﷺ وعن صحابته - رضى الله عنهم - وعن أئمة المسلمين - رحمهم الله - بصفة علماء فى الظاهر ، لم ينفعهم الله بالعلم ، ممن طلبه للفخر ، والرياء ، والجدل ، والمراء ، وتأكل به الأغنياء ، وجالس به الملوك ، وأبناء الملوك لينال به الدنيا فهو ينسب نفسه إلى أنه من العلماء ، وأخلاقه أخلاق أهل الجهل والجفاء ، فتنة لكل مفتون ، لسانه لسان العلماء ، وعمله عمل السفهاء .

فإن قال قائل : فاذكر الأخبار فى ذلك لنحذر ما حذرتنا ، قيل : نعم إن شاء الله .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر قاسم بن زكريا ، أخبرنا المطرز ، أخبرنا أبو الحسن رجاء بن محمد ، أخبرنا محمد بن عباد الهناتى ، أخبرنا على بن المبارك ، عن أيوب السختياني ، عن خالد بن دريك ، عن ابن عمر . قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِيُغَيِّرَ اللَّهَ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدُهُ فِي النَّارِ »^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح ، أخبرنا الحسن بن على الحلواني ، أخبرنا سعيد بن أبى مریم ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن

(١) رواه الترمذى فى سننه ، باب ماجاء فىمن يطلب بعلمه الدنيا وقال : هذا حديث حسن غريب .

ورواه ابن ماجه فى سننه باب الانتفاع بالعلم والعمل به .

ابن جريج ، عن أنى الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :
 « لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لِتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءُ وَلَا لِتَمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءُ وَلَا لِتَجْتَرُوا
 بِهِ الْمَجَالِسَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالتَّارَ النَّارَ » ^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو عبيد على بن الحسين بن حرب القاضي ،
 أخبرنا أبو الأشعث أحمد بن المقدم ، أخبرنا أمية بن خالد ، أخبرنا
 إسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، حدثني ابن كعب بن مالك عن
 أبيه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارَى
 بِهِ الْعُلَمَاءُ ، وَيُمَارَى بِهِ السُّفَهَاءُ ، وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ
 اللَّهُ النَّارَ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعي في المسجد
 الحرام ، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرني
 يحيى بن عبد السلام ، عن عثمان بن مقسم ، عن سعيد المقبري ، عن أنى
 هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَشَدَّ النَّاسُ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ » ^(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أنى داود ، أخبرنا أيوب بن محمد
 الوزان ، أخبرنا غسان - يعنى ابن عبيد - عن عثمان البري ، عن
 سعيد بن أنى سعيد المقبري ، عن أنى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) الخطيب في الفقيه والمتفقه باب إخلاص النية ج ٢ ص ٨٨ .

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب ذكر استعادة رسول الله ﷺ
 من علم لا ينفع وسؤاله العلم النافع ج ١ ص ١٦٢ .

والحديث رواه الطبراني في الصغير، والبيهقي .

يقول : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ عِلْمُهُ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني ، أخبرنا عبد الله بن الصادق ، أخبرنا يوسف بن عطية ، عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِبَادٌ جُهَالٌ وَعُلَمَاءُ فَسَاقٌ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي أخبرنا محمد بن الحسن البلخي ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا سفيان الثوري ، قال : يقال : « تعوذوا بالله من فتنه العابد الجاهل ، وفتنة العالم الفاجر ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ^(١) » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا هشام بن عمار ، أخبرنا صدقة بن خالد ، أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : سمعت مكحولاً يقول : « إنه لا يأتي على الناس ما يوعدون ، حتى يكون عالمهم فيهم أنثن من جيفة حمار » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرني أبي ، قال : سمعت الأوزاعي ، يقول : « كان يقال : ويل للمتفقهين لغير العبادة ، والمستحلين الحرمات بالشبهات » .

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله في باب ذم الفاجر من العلماء وذم طلب العلم للمباهاة وللدنيا .

وجاء من حديث ابن وهب أن رسول الله ﷺ قال : « هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل ، وشر الشر أشرار العلماء وخير الخير خيار العلماء » ابن عبد البر جامع بيان العلم جـ ١ ص ١٩٢ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا بكار ، عن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله - عز وجل - فيما يعاتب به أخبار بني إسرائيل : « تفقهون لغير الدين ، وتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، تلبسون جلود الضأن ، وتخفون أنفس الذئاب ، وتتقون القذا من شرابكم ، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام ، وثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب ، تنتقصون مال اليتيم ، والأرملة ، فبعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم »^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الفضل بن زياد ، قال : سمعت الفضيل يقول : « إنما هما عالمان : عالم دنيا ، وعالم آخرة ، فعالم الدنيا علمه منشور ، وعالم الآخرة علمه مستور ، فاتبعوا عالم الآخرة ، واحذروا عالم الدنيا ، لا يصدنكم بسكره » ثم تلا هذه الآية ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الأخبار : العلماء ، والرهبان : العباد ، ثم قال : « لكثير من علمائكم زيه أشبه بزي كسرى وقصر منه بمحمد ﷺ إن النبي ﷺ لم يضع لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، ولكن رفع له علم فشمز إليه .

وقال الفضيل : « العلماء كثير ، والحكماء قليل ، وإنما يراد من العلم الحكمة ، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » .

(١) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه باب إخلاص النية ج ٢ ص ٨٩ .

قال محمد بن الحسين : قول الفضيل - والله أعلم - الفقهاء كثير والحكماء قليل . يعنى قليل من العلماء من صان علمه عن الدنيا ، وطلب به الآخرة ، والكثير من العلماء قد افتتن بعلمه ، والحكماء قليل كانه يقول : ما أعز من طلب بعلمه الآخرة .

وأخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل ، أخبرنا بشر بن الوليد ، أخبرنا فليح بن سليمان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن سعيد بن يسار عن أئى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَّقَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ غَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ غَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) .

أخبرنا أبو بكر ، نا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا شعيب بن أيوب ، أخبرنا عبد الله بن نمير ، أخبرنا معاوية النصرى ، عن الضحاك ، عن الأسود بن يزيد ، قال غير شعيب : وعلقمة ، ولم أر شعيبا ذكر علقمة ، قال : قال عبد الله بن مسعود : « لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهلهم سادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا على أهلها » .

سمعت نبيكم ﷺ يقول : « مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هِمًّا وَاحِدًا هَمٌّ آخِرَتِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ هُمُومُ أَخْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يَنَالِ اللَّهَ فِي أُمَّي أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ » (٢) .

(١) الخطيب الفقيه والمتفقه باب إخلاص النية ج٢ ص ٨٩ .

(٢) ابن ماجه فى سننه . باب الانتفاع بالعلم والعمل به .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا عمر بن أيوب السقطي ، أخبرنا الحسن بن حماد الكوفي ، أخبرنا أبو أسامة ، عن عيسى بن سنان ، قال : سمعت وهب بن منبه ، يقول لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلنا استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى دنياهم ، فكان أهل الدنيا يبدلون لهم دنياهم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم منا اليوم يبدلون لأهل الدنيا علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فأياك وأبواب السلاطين ، فإن عند أبوابهم فتنا كمبارك الإبل ، لاتصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك مثله .

قال محمد بن الحسين : فإذا كان يخاف على العلماء في ذلك الزمان أن تفتنهم الدنيا ، فما ظنك به في زماننا هذا ؟ الله المستعان . ما أعظم ما قد حل بالعلماء من الفتن وهم عنه في غفلة .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد العطشي ، أخبرنا علي بن حبيب الطائي ، أخبرنا سعيد بن عامر عن هشام صاحب الدستوائي ، قال : قرأت في كتاب : بلغني أن من كلام عيسى بن مريم عليه السلام :

كيف يكون من أهل العلم من سخط رزقه ، واحتقر منزلته ، وقد علم أن ذلك من علم الله وقدرته ؟!

وكيف يكون من أهل العلم من اتهم الله فيما قضاه ، وليس يرضى شيئا أصابه ؟!

كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته ، وهو مقبل على دنياه ؟!

وكيف يكون من أهل العلم من دنياه أثر عنده من آخرته ، وهو في دنياه أفضل رغبة ؟!

وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليحدث به ، ولا يطلبه ليعمل به ؟! ^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلي ، أخبرنا الفضل بن زياد ، أخبرنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : إن الله - عز وجل - يحب العالم المتواضع ، ويغض العالم الجبار ، ومن تواضع لله ورثه الله الحكمة ^(٢) .

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا هدية ، أخبرنا حزم . قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إنكم في زمان أشهب ، لا يبصر زمانكم إلا البصير ، إنكم في زمان نفخاتهم قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم ، وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فاحذروهم على أنفسكم ، لا يوقعوكم في شبكاتهم ، يا عالم أنت عالم ، تأكل بعلمك ؟ يا عالم أنت عالم تفخر بعلمك ؟ يا عالم أنت عالم تكاثر بعلمك ؟ يا عالم أنت عالم ، تستطيل بعلمك ؟ لو كان هذا العلم طلبته لله لرتى ذلك فيك وفي علمك .

قال محمد بن الحسين : فإن قال قائل : فصف لنا أخلاق هؤلاء العلماء الذين علمهم حجة عليهم حتى إذا رأينا من يشار إليه بالعلم ، اعتبرنا

(١) رواه الدارمي في مسنده ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغيره .

(٢) الخطيب في الفقيه والمتفقه باب استعمال التواضع ولين الجانب ولطف الكلام جـ ٢

ما ظهر من أخلاقهم ، فإذا رأينا أخلاقا لا تحسن بأهل العلم اجتنبناهم ، وعلمنا أن ما استبطنوه من دناءة الأخلاق أقبح مما ظهر ، وعلمنا أنه فتنة فاجتنبناهم ، لئلا نفتتن كما افتتنوا ، والله موفقنا للرشاد .

قيل له : نعم . سنذكر من أخلاقهم ما إذا سمعها من ينسب إلى العلم رجع إلى نفسه فتصفح أمره ؛ فإن كان فيه خلق من تلك الأخلاق المكروهة المذمومة استغفر الله ، وأسرع الرجعة عنها إلى أخلاق هي أولى بالعلم ، مما يقربهم إلى الله - عز وجل - وتجافى عن الأخلاق التي تباعدهم عن الله .

فمن صفته في طلبه للعلم : « لا يطلب العلم بالسهو والغفلة ، وإنما يطلب من العلم ما أسرع إليه هواه . فإن قال : كيف ليس مراده في طلب العلم أنه فرض عليه ، ليتعلم كيف يعبد الله فيما يعبد من أداء فرائضه واجتناب محارمه ، إنما مراده في طلبه يكثر التعرف أنه من طلاب العلم وليكون عنده ، فإذا كان عنده هذب نفسه .

وكم علم إذا سمعه أو حفظه شرف به عند المخلوقين ، سارع إليه ، وخف في طلبه ، وكل علم وجب عليه فيما بينه وبين ربه - عز وجل - أن يعلمه ، فيعمل به ، ثقل عليه طلبه فتركه على بصيرة منه ، مع شدة فقره إليه ، يثقل عليه أن يفوته سماعا لعلم قد أراده حتى يلزم نفسه بالاجتهاد في سماعه ، فإذا سمعه هان عليه ترك العمل به فلم يلزمها ما وجب عليه من العمل به كما ألزمها السماع .

فهذه غفلة عظيمة إن فاته سماع شيء من العلم أحزنه ذلك ، وأسف على فوته . كل ذلك بغير تمييز منه . وكان الأولى به أن يحزن على علم

قد سمعه فوجبت عليه به الحجة ، فلم يعمل به ، ذلك كان أولى به أن يحزن عليه ، ويتأسف ، يتفقه للرياء ، ويحاج للمراء ، مناظرته في العلم تكسبه المآثم ، مراده في مناظرته أن يعرف بالبلاغة ، ومراده أن يخطيء مناظره ، إن أصاب مناظره الحق ساء ذلك ، فهو دائب .

يسره ما يسر الشيطان ، ويكره ما يحب الرحمن ، يتعجب ممن لا ينصف في المناظرة وهو يجور في الحاجة ، ويحتج على خطئه ، وهو يعرفه ولا يقربه ، خوفاً أن يذم على خطئه ، يرخص في الفتوى لمن أحب ، ويشدد على من لاهوى له فيه ، يذم بعض الرأى ، فإن احتاج الحكم والفتيا لمن أحب دله عليه ، وعمل به ، من تعلم منه علماً فهمته فيه منافع الدنيا ، فإن عاد عليه خف عليه تعليمه ، وإن كان ممن لامنفعة له فيه للدنيا ، وإنما منفعته الآخرة ثقل عليه ، يرجو ثواب علم ما لم يعمل به ، ولا يخاف سوء عاقبة المسألة عن تخلف العمل به .

يرجو ثواب الله على بغضه من ظن به السوء من المسئولين ، ولا يخاف مقت الله على مدهنته للمهتوكين ، ينطق بالحكمة فيظن أنه من أهلها ، ولا يخاف عظم الحجة عليه ، لتركه استعمالها ، إن علم ازداد مباهاة وتصنعاً . وإن احتاج إلى معرفة علم تركه آنفاً .

إن كثر العلماء في عصره ، فذكروا بالعلم أحب أن يذكر معهم ، إن سئل العلماء عن مسألة فلم يسأل هو أحب أن يسأل ، كما سئل غيره ، وكان أولى به أن يحمد ربه ، إذا لم يسأل وإذا كان غيره قد كفاه ، إن بلغه أن أحداً من العلماء أخطأ : رأصاب هو فرح بخطأ غيره ، وكان حكمه أن يسوئه ذلك .

إن مات أحد من العلماء سره موته ، ليجتاح الناس إلى علمه ، إن سئل عما لا يعلم أنف أن يقول : لأعلم حتى يتكلف مالا يسعه في الجواب .

إن علم أن غيره أنفع للمسلمين منه كره حياته ، ولم يرشد الناس إليه .

إن علم أنه قال قولاً فتوبع عليه ، وصارت له به رتبة ، عند من جهله ، ثم علم أنه أخطأ ، لم يرجع عنه لئلا تسقط رتبته عند المخلوقين ، يتواضع بعلمه للملوك ، وأبناء الدنيا ، لينال حظه منهم ، بتأويل يقيمه ، ويتكبر على من لا دنيا له من المستورين ، والفقراء ، فيحرمهم علمه ، بتأويل يقيمه ، ويعد نفسه في العلماء ، وأعماله أعمال السفهاء ، قد فتنه حب الدنيا ، والثناء ، والشرف ، والمنزلة عند أهل الدنيا . يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحللة الحسنة للدنيا ، ولا يجمل علمه بالعمل به .

قال محمد بن الحسين : من تدبر هذه الخصال ، فعرف أن فيه يمضى - ماذكرنا - وجب عليه أن يستحي من الله ، وأن يسرع الرجوع إلى الحق ، وسأذكر من الآثار بعض ماذكرت ليتأدب به العالم إن شاء الله ، فأما قولنا : يتجمل بالعلم ولا يجمل العلم بعمله :

حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا حريز بن عثمان ، عن حبيب بن عبيد قال : « تعلموا العلم ، واعتقلوه ، وانتفعوا به ، ولا تعلموه لتجملوا به . إنه يوشك إن طال بك العمر ، أن تتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد
الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا علي بن قادم ، أخبرنا سفيان
عن ليث ، قال : قال طاوس : « ما تعلمت . فتعلم لنفسك فإن الأمانة
والصدق قد ذهبا من الناس » .

قال محمد بن الحسن : وأما من كره أن يفتى إذا علم أن غيره يكفيه :
فحدثنا جعفر بن محمد الصندلي ، أخبرنا الحسين بن محمد الزعفراني ،
أخبرنا شبابة بن سوار ، أخبرنا شعبة ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد
الرحمن بن أبي ليلى ، قال : « أدركت عشرين ومائة من أصحاب
النبي ﷺ من الأنصار إذا سئل أحدهم عن الشيء أحب أن يكفيه
صاحبه » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر أيضا ، أخبرنا محمد بن المثني ، قال :
سمعت بشر بن الحارث ، يقول : سمعت المعافى بن عمران ، يذكر عن
سفيان قال : « أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل
والمشاهد ، ولا يفتوا حتى لا يجدوا بدا من أن يفتوا . وقال المعافى : سألت
سفيان فقال : « أدركت الناس ممن أدركت من العلماء ، والفقهاء ، وهم
يترادون المسائل ، يكرهون أن يجيبوا فيها ، فإذا أعفوا عنها كان ذلك أحب
إلهم » ^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني ، أخبرنا
الحسن بن الأسود العجلي ، أخبرنا يحيى بن آدم ، أخبرنا حماد بن

(١) الخطيب الفقيه والمحقق باب القول في السؤال عن الحادثة والكلام فيها قبل وقوعها
ج ٢ ص ١٥ .

شعيب ، عن حجاج ، عن عمير بن سعيد قال : سألت علقمة عن مسألة ، فقال : « ائت عبدة فاسأله . فأتيت عبدة .

فقال : ائت علقمة ، فقلت : علقمة أرسلني إليك .

فقال : ائت مسروقاً فاسأله . فأتيت مسروقاً فسأله ، فقال : ائت علقمة فاسأله . فقلت : علقمة أرسلني إلى عبدة ، وعبدة أرسلني إليك .

فقال : ائت عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فأتيت عبد الرحمن بن أبي ليلى فسأله فكرهه .

ثم رجعت إلى علقمة فأخبرته . قال : كان يقال : « أجرأ القوم على الفتيا أذناهم علماً »^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن سعيد الصندلي ، أنبأنا محمد بن المثني ، قال : سمعت بشراً ، قال : قال سفيان : « من أحب أن يسأل فليس بأهل أن يسأل » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ، أخبرنا زهير بن محمد ، أخبرنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا محمد بن طلحة بن مصرف عن أبي حمزة ، قال : قال لي إبراهيم : والله يا أبا حمزة ، لقد تكلمت ولو أجد بدا ماتكلمت ، وإن زماناً أكون فيه فقيه أهل الكوفة زمان سوء .

(١) الخطيب الفقيه والمتفقه ج ٢ ص ١٣ .

وأما من كان إذا سئل عن الأمر سأل : هل كان ؟ قال : قيل : كان ،
أفتى فيه ، وإن قيل : لم يكن لم يفت فيه ، كل ذلك إشفافاً من الفتيا :

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني ، أخبرنا
داود بن عمر ، وأخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن
خارجة بن زيد بن ثابت ، قال : إذا سئل عن شيء قال : هل وقع ؟
فإن قالوا له : لم يقع . لم يخبرهم . وإن قالوا : قد وقع أخبرهم^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن عبد الحميد الواسطي ،
أخبرنا زهير ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا موسى بن علي ، قال : سمعت أبي
قال : كان الرجل يأتي زيد بن ثابت فيسأله عن الأمر فيقول : « الله أنزل
هذا ؟ » فإن قال : والله لقد ترك هذا ، أفتاه . وإن لم يحلف تركه .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا ابن عبد الحميد الواسطي - أيضاً - أخبرنا
زهير ، أخبرنا شريح بن النعمان ، أخبرنا أبو عوانة ، عن فراس ، عن
عامر ، عن مسروق ، قال : « كنت أمشي مع أبي بن كعب ، فقال له
رجل : ياعماء كذا وكذا ، فقال : يا بن أخي : أكان هذا ؟ قال : لا .
قال : فأعفنا حتى يكون » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا ابن عبد الحميد ، أخبرنا زهير بن محمد بن
قمير ، أخبرنا منصور بن سعيد ، أخبرنا حماد بن زيد ، أخبرنا الصلت بن
راشد ، قال : سألت طاوساً عن شيء فانتهرني . وقال : أكان هذا ؟
قلت : نعم . قال : آله . قلت : آله . قال : أصحابنا أخبرونا عن

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب ذم القول في دين الله بالرأي والظن
والقياس على غير أصل ج ٢ ص ١٣٣ .

معاذ بن جبل ، أنه قال : « أيها الناس لاتعجلوا بالبلاء قبل نزوله ، فيذهب بكم ههنا وههنا ، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سدد ، أو قال : وفق^(١) .

قال محمد بن الحسين : وأما - ماذكرنا - في الأغلوطات ، وتعميد المسائل ، مما ينبغي للعالم أن ينزه نفسه عن البحث عنهما ، مما لم يكن ، ولعلها لاتكون أبدا ، فيشغلوا نفوسهم بالنظر ، والجدل ، والمرء فيهما ، حتى يشتغلا بهما عما هو أولى بهن ، ويغالط بعضهم بعضا ، ويطلب بعضهم زلل بعض ، ويسأل بعضهم بعضا ، هذا كله مكروه ، منهى عنه ، لا يعود على من أراد هذا منفعة في دينه ، وليس هذا طريق من تقدم من السلف الصالح ، ما كان يطلب بعضهم غلط بعض ، ولا مرادهم أن يخطئ بعضهم بعضا ، بل كانوا علماء عقلاء ، يتكلمون في العلم مناصحة ، وقد نفهم الله بالعلم .

أخبرنا أبو بكر الفرياني ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا رَجُلٌ سَأَلَ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يُحَرِّمْ فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ »^(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي أبو عبد الله ، أخبرنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم ، أخبرنا عبد الله بن

(١) الخطيب في الفقيه والمتفقه باب القول في السؤال عن الحادثة والكلام فيها قبل وقوعها ج ٢ ص ١٢ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه .

عمرو ، عن عبد الملك بن عمير ، عن وراذ مولى المغيرة بن شعبة ، عن المغيرة بن شعبة . أن رسول الله ﷺ : « نَهَى عَنْ قِيلٍ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ » .

أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادى ، أخبرنا أبو النضر - يعنى الدمشقى - أخبرنا يزيد بن ربيعة . قال : سمعت أبا الأشعث يحدث عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ قال : « سَيَكُونُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَتَغَلَطُونَ فَقَهَاءَهُمْ بَعْضُ الْمَسَائِلِ أَوْلَيْكَ شِرَارُ أُمَّتِي » (١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصندلى ، أخبرنا الحسن بن محمد الزعفرانى ، أخبرنا على بن بحر القطان ، أخبرنا عيسى بن يونس ، أخبرنا الأوزاعى ، عن عبد الله بن سعد ، عن الصنابجى ، عن معاوية بن أبى سفيان أن النبى ﷺ : نهى عن الأغلوطات . قال عيسى : والأغلوطات : مالا يحتاج إليه من كيف وكيف (٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد البرذعى فى المسجد الحرام ، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنا - مسلمة بن على ، عن صالح عن الحسن . قال : « إن شرار عباد الله : قوم يحبون شرار المسائل ؛ يعمون بها عباد الله » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الزعفرانى ، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن عمران بن جبير ، عن ربيع بن كثير .

(١) رواه الخطيب فى الفقيه والمطقق باب القول عن الحادثة جـ ٢ ص ١١ .

(٢) رواه الخطيب فى الفقيه والمطقق جـ ٢ ص ١ .

قال : قال على بن أئى طالب يوما : سلونى عما شئتم . فقال ابن الكواء :
ما السواد الذى فى القمر ؟ قال : قاتلك الله . ألا سألت عما ینفعك
فى دنياك وآخرتك ذاك محو آية الليل .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر بن محمد الصندلى ، أخبرنا الفضل بن
زیاد . قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله - يقول لرجل
ألح علیه فى تعقید المسائل ، فقال أحمد : تسأل عن عیین رجلین ؟ سل
عن الصلاة والزكاة شیئا تنتفع به ، ونحو هذا . ما تقول فى صائم احتلم ؟
فقال : الرجل لا أدرى . فقال أبو عبد الله : تترك ماتنتفع به وتساءل
عن عیین رجلین ؟ ثم حدثنا عن روح ، عن أشعث ، عن الحسن فى
صائم احتلم : لاشئ علیه .

وحدثنا عن روح ، عن حبيب بن أئى حبيب ، عن عمرو بن هرم ،
عن جابر بن زید فى صائم احتلم . قال : لاشئ علیه . ولكن یعجل
الغسل .

قال محمد بن الحسین : فلو أدب العلماء أنفسهم و غیرهم بمثل هذه
الأخلاق ، التى كان علیها من مضى من أئمة المسلمين ، انتفعوا بها ،
وانتفع بهم غیرهم . وبارک الله لهم فى قلیل علمهم ، وصاروا أئمة یتهدى
بهم .

وأما الحجة للعالم یسأل عن الشئ لا یعلمه ، فلا یستکف أن یقول :
لأعلم . إذا كان لا یعلم . وهذا طریق أئمة المسلمين من الصحابة ، ومن
بعدهم من أئمة المسلمين ، اتبعوا فى ذلك نبيهم ﷺ .

لأنه كان إذا سئل عن الشيء مما لم يتقدم له فيه علم الوحي من الله - عز وجل - فيقول : لا أدري .

وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم فيه العلم . أن يقول : الله أعلم به ، ولا أعلم لى به ، ولا يتكلف مالا يعلمه ، فهو أعذر له عند الله ، وعند ذوى الألباب .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريابي ، أخبرنا عثمان بن أبى شيبة ، أخبرنا جرير بن عبد الحميد ، عن عطاء بن السائب ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أى البقاع خير ؟ قال : لا أدري أو سكت . قال : فأى البقاع شر ؟ قال : لا أدري أو سكت . فأتاه جبريل - عليه السلام - فسأله عن شيء فقال : لا أدري . فقال : سل ربك . قال : ما سأله وانتفض انتفاضة كاد يصعق منها محمد ﷺ قال : فلما صعد جبريل - عليه السلام - قال الله - تعالى - : سألك محمد عن أى البقاع خير قلت : لا أدري ، وسألك عن أى البقاع شر ، قلت : لا أدري قال : فخبره « أن خير البقاع المساجد ، وشر البقاع الأسواق » (١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف التاجر ، أخبرنا ابن أبى عمر ، أخبرنا سفيان عن عطاء بن السائب ، عن زاذان أبى ميسرة . قال : خرج علينا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يوما ،

(١) ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم ص ٣٤٠ .

وهو يمتسح بطنه ، وهو يقول : يا بردها على الكبد . سئلت عما لا أعلم
فقلت : لا أعلم ، والله أعلم .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو أحمد - أيضا - أخبرنا ابن أبي عمر ،
أخبرنا سفيان عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق . قال : قال عبد
الله : أيها الناس من علم منكم علما ، فليقل به ، ومن لم يعلم فيقول :
لا أعلم ، والله أعلم . فإن من علم المرء ، أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم .
وقد قال الله - تعالى - : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، أخبرنا
الحسين بن الحسن المروزي ، أخبرنا ابن المبارك ، أخبرنا محمد بن
عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه سئل عن أمر لا يعلمه فقال :
لا أعلمه ^(٢) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصندلي ، أخبرنا أحمد بن منصور
الرمادي ، أخبرنا محاضر ، عن الأعمش ، عن عطية ، قال : جاء رجل
إلى ابن عمر يسأله عن قريضة هينة من الصلْب . فقال : لأدرى فقام
الرجل ، فقال له بعض من عنده : ألا أخبرت الرجل ؟ فقال : لا ، والله
ما أدرى .

(١) الخطيب الفقيه والمتفقه باب الإحجام عن الجواب إذا خفى عن المسئول وجه الصواب
ج ٢ ص ١٧١ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٧٢ .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا هرون بن يوسف ، أخبرنا ابن أبي عمر ،
أخبرنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد . قال : سئل ابن لعبد الله بن عبد
الله بن عمر عن شيء فلم يكن عنده جواب . فقلت : إني لأعظم أن
يكون مثلك ابن إمام هدى . يسأل عن شيء لا يكون عندك منه علم ؟
فقال : أعظم والله من ذلك عند الله وعند من عقل عن الله - عز وجل -
أن أقول بغير علم ، أو أحدث عن غير ثقة .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو الفضل جعفر بن محمد الصندلي ، أخبرنا
أحمد بن منصور الرمادي ، أخبرنا عبد الرزاق . قال : كان مالك يذكر .
قال : كان ابن عباس يقول : إذا أخطأ العالم أن يقول : لا أدري فقد
أصيب مقاتله^(١) .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر الصندلي ، أخبرنا يعقوب بن بختان ،
قال : سمعت أحمد بن حنبل - أبا عبد الله ، رحمه الله - قال : سمعت
الشافعي . قال : سمعت مالكا . قال : سمعت ابن عجلان . قال : إذا
اغفل العالم لأدري أصيب مقاتله .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا جعفر ، أخبرنا صالح بن أحمد عن أبيه . قال :
سمعت عبد الرحمن بن مهدي . يقول : جاء رجل إلى مالك بن أنس
يسأله عن شيء فقال له مالك : لأدري . قال الرجل : فأذكر عنك أنك
لاتدري ؟ قال : نعم احك عني ، أتي لأدري .

قال محمد بن الحسين : من تخلق بهذه الأخلاق كانت أوصافه تلك
الأوصاف التي تقدم ذكرنا لها .

(١) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه باب ماجاء في الإحجام عن الجواب إذا خفى عن
المستؤول وجه الصواب ج ٢ ص ١٧٢ .

وصف من لم ينفعهم الله بالعلم

وأما من كانت أوصافه وأخلاقه : الأخلاق المذمومة التي ذكرناها ، لم يلتفت إلى هذا ، واتبع هواه ، وتعاضم في نفسه ، وتجبر ، ولم يؤثر العلم في قلبه أثراً ، يعود عليه نفعه ، وكانت أخلاقه في كثير من أموره ، أخلاق أهل الجفا ، والغفلة .

وسأذكر من أخلاقه الجافية : إذا تصفح نفسه من خرج عن الأخلاق الشريفة ، ورضى لنفسه الأخلاق الدنيئة ، التي لاتحسن بالعلماء ، علم أنها فيه ، وشهد على نفسه بذلك ، لايمكنه دفع ذلك ، والله العظيم مطلع على سره .

فمن صفته أن يكون أكثر همه معاشه من حيث نهى عنه مخافة الفقر أن ينزل به ، لايقنع بما أعطى مستبطلا لما لم يجز به المقدور ، أن يكون شغل الدنيا دائم في قلبه ، وذكر الآخرة خطرات . يطلب الدنيا بالتعب ، والحرص ، والنصب ، ويطلب الآخرة بالتسويق ، والمنى ، يذكر الرجاء عند الذنوب فيطلب نفسه بالمقام عليها ، ويذكر العجر عند الطاعة ، حين هم بها ، فينجزر عنها ، ويظن أنه محسن بالله الظن ، وأنه يوثق به في العفو ، ولم يضمن له ، ولايحسن الظن بالله ، ويثق به في الرزق الذي ضمن له ، يضطرب قلبه ويشتغل بطلب رزقه .

وقد أمر بالطمأنينة فيه إلى ربه ، ويطمئن ، ويسكن ، عند ذكر الموت وقد ندب إلى أن يخافه ولايسكن عند الحذر والخوف ، من أجل رزقه

وقد ضمن له وأمنه الله من أن يفوته ما قدر له ، فما أمنه الله منه يخافه ، وما خوفه الله منه أمنه ، يفرح بما آتاه الله من الدنيا حتى ينسى بفرحه شكر ربه ، ويغتم بالمصائب حتى تشغله عن الرضا عن ربه إن نابتة نائبة ، سبق إلى قلبه الفزع إلى العباد والاستعانة بهم .

يطلب من ربه الفرج ، إذا أيس من الفرج من قبل الخلق ، فإن طمع في دنو إلى مخلوق نسي مولاه ، من اصطنع إليه معروفا ، غلب على قلبه حب المصطنع إليه ، وشغل قلبه بذكره ، وألزم قلبه حبه وشكره ، ناس في جميع ذلك ربه ، يثقل عليه بذل القليل من ماله لمن لا يكافئ عليه إلا ربه ويخفف عليه بذل الكثير لمن لا يكافئه أو يؤمل منه منفعة في دنياه يأثم فيمن أحب فيمدحه بالباطل ، ويعصى الله فيمن ييغضه فيذمه بالباطل .

يقطع بالظنون ، ويحقق بالتهم ، يكره ظلم من ينتصر لنفسه ، أو ينصره من العباد غيره ، ويخف عليه ظلم من لناصر له سوى ربه ، يثقل عليه الذكر ، ويخف عليه فضول القول ، إن كان في رخاء فرح ، ولها ، وأسى ، وطغى ، وبغى ، وإن زال عنه الرخاء ، شغل قلبه عن الواجبات ، وظن أن لا يفرح ، ولا يمرح أبداً ، إن مرض سوف التوبة ، وأظهر الندامة ، وعاهد أن لا يعود ، وإن وجد الراحة نقض العهد ، ورجع من قريب .

وإن خاف الله - كما يزعم - لم يرضه بما يكره الخلق ، يستعيز بالله ، من شر من هو فوقه من العباد ، ولا يعيد من هو دونه من الخلق ، من شر نفسه ، شفاؤه في إمضاء غيظه وإن كان مما يسخط ربه ، ينظر إلى

من فضل عليه في الرزق فيستقل نعم ربه ، فلا يشكره ، ولا ينظر إلى من هو دونه في العيش ، فيشكر النعمة ، يتشاغل بالفضول عن الصلوات ، إلى آخر أوقاتها .

فإن صلى ، صلى لاهيا عن صلاته ، غير معظم لمولاه إذا قام بين يديه . إذا أطال أمامه الصلاة ملها ، وذمه ، وإن خففها اغتنم خفته ، وحده ، قليل الدعاء ، ما لم تنزل به الشدائد والعلل ، فإن دعا فبقلب مشغول بالدنيا .

قال محمد بن الحسين : هذه الأخلاق وما يشبهها ، تغلب على قلب من لم ينتفع بالعلم . هو مقارن لهذه الأخلاق . إذ رغبت نفسه في حب الترف ، والمنزلة ، وأحب مجالسة الملوك ، وأبناء الدنيا ، فأحب أن يشاركهم فيما هم فيه من راخى عيشهم : من منزل بهى ، ومركب هنى ، وخادم سرى ، ولباس لين ، وفراش ناعم ، وطعام شهى .

وأحب أن يغشى بابه ، ويسمع قوله ، ويطاع أمره ، فلم يقدر عليه إلا من جهة القضاء فطلبه ، ولم يمكنه إلا ببذل دينه فذل للملوك ، ولأتباعهم ، وخدمهم بنفسه ، وأكرمهم بماله ، وسكت عن قبيح ما يظهر من مناكير على أبوابهم ، وفي منازلهم ، وقولهم ، وفعلهم ، ثم زين لهم كثيرا من قبيح فعالهم ، بتأويله الخطأ ، ليحسن موقعه عندهم .

فلما فعل هذا مدة طويلة ، واستحكم فيه الفساد ، ولَّوه القضاء ، فذبجوه بغير سكين ، فصارت لهم عليه منة عظيمة ، ووجب عليه شكرهم ، فألزم نفسه ذلك لئلا يفضيهم عليه ، فيعزلوه عن القضاء ، ولم يلتفت إلى غضب مولاه الكريم . فاقتطع أموال اليتامى ، والأرامل ،

والفقراء ، والمساكين ، وأموال الوقوف على المجاهدين ، وأهل الشرف ،
والحرّومين ، وأموال يعود نفعها على جميع المسلمين فأرضى بها الكاتب ،
والحاجب ، والخدام ، فأكل الحرام ، وأطعم الحرام ، وكثر الداعى عليه .
فالويل لمن أورثه عمله هذه الأخلاق .

هذا العالم الذى استعاذ منه النبى ﷺ وأمر أن يستعاذ منه .

هذا العالم الذى قال النبى ﷺ : « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا الفريانى ، أخبرنا قتيبة بن سعيد ، أخبرنا
الليث بن سعد ، عن سعيد بن أبى سعيد ، عن أخيه عباد بن أبى سعيد ،
سمع أبا هريرة يقول : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ
بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ : مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ
لَا تَسْبُغُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يَسْمَعُ » .

أخبرنا أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر بن أبى داود ، أخبرنا أحمد بن صالح
المصرى ، أخبرنا عبد الله بن وهب ، أخبرنى أسامة بن زيد ، أن محمد بن
المنكدر ، حدثه أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصارى يقول : سمعت رسول
الله ﷺ يقول : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ
لَا يَنْفَعُ » قال جابر : فأسرعت إلى أهلى . فقلت لهم : إني سمعت رسول
الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات فادعوا بهن .

والحمد لله وحده ، وصلى

الله على سيدنا محمد النبى الأُمى

وعلى آله وصحبه أجمعين

الفهرس

٥	(١) مقدمة
٩	(٢) الآجرى
١١	(٣) أضواء حول الأخلاق
	(٤) أخلاق العلماء تأليف أبو بكر محمد بن الحسين ابن
٢٥	عبدالله الأجرى المتوفى سنة ٣٦٠هـ
	(٥) باب ذكر ماجاءت به السنن والآثار من فضل العلماء فى
٣٣	الدنيا والآخرة
	(٦) باب أوصاف العلماء الذين نفعهم الله بالعلم فى الدنيا
٤٧	والآخرة
٥٤	(٧) ذكر صفة مناظرة هذا العالم إذا احتاج إلى المناظرة ...
	(٨) ذكر أخلاق هذا العالم ومعاشرته لمن عاشره من سائر
٥٩	الخلق
	(٩) ذكر أخلاق هذا العالم وأوصافه فيما بينه وبين ربه - عز
٦٠	وجل -
	(١٠) باب ذكر سؤال الله لأهل العلم عن علمهم ماذا عملوا
٦٧	فيه
٧٠	(١١) كتاب أخلاق العالم الجاهل المفتتن بعلمه
٨٩	(١٢) وصف من لم ينفعهم الله بالعلم